٢٠٨

HARLEQUIN

روايات احلام

خطيبة بالإيجار

ليندساي أرمسترونج

www.elromancia.com
مرمورية

خطيبة بالإيجار

قال ليتون ديكستر:

- لا فتاة تود أن تكون أعلى خوخة على الشجرة بحيث لا يصل إليها أحد...

ودّت ڤيڤيان لو توجه لكمة إلى وجهه الوسيم لتبرهن لهذا الرجل المغرور أن قوله لا ينطبق عليها..

لكن مفاجآت ليتون لم تنته بعد:

- إذا أردتِ إنقاذ شركتك من الإفلاس، عليك أن تلعبي دور خطيبتي لمدة أسبوع..

ظن ليتون أنه يستطيع الوصول إليها بهذه الطريقة، لكن ڤيڤيان ستثبت له أنه لن يصل إلا إلى المتاعب ...

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١.٥٠ دينار	مصر: ٤ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-027-3

9789953150277

١ ـ لقاء الماء بالنار!

قال ليتون ديكستر:

ـ ما من فتاة تود أن تكون أعلى خوخة على الشجرة بحيث لا يصل إليها أحد.

أخذت ڤيڤيان فلوري نفساً حذراً، لتخفي بذلك رغبتها في القيام بردة فعل عنيفة، كأن تسدّد لكمة إلى فكه الجميل.

كان ليتون ديكستر رجلاً جذاباً، بعينين شديدتي الزرقة، وشعر قاتم اللون وأسنان ناصعة البياض. وقد تميّز بابتسامة ساحرة هي مزيج من المكر والتكاسل، ارتدى بنطلوناً كاكي اللون وقميصاً بمربعات كحلية وقرمزية وسترة من التويد وإن توقعت أن يرتدي ملابس أكثر تكلفاً وتأنقاً، تليق برئيس «شركة كلوڤر» التي تنتج الكثير من الكماليات.

إن أي رجل يخضعها لمثل هذا الفحص الدقيق، إنما يجر على نفسه الكراهية والدمار. لكن المشكلة الوحيدة هي أنها ليست في وضع يسمح لها بالتشاجر مع هذا الرجل. كانت قدرة «شركة كلوڤر» جلية في هذا المكتب فلم يكن يتميز بالمناظر الرائعة التي يطل عليها وحسب، إنما كان تحفة ثمينة لا تضاهى، بجمال زخارفه وديكوره البديع، من الستائر المخملية السميكة الزرقاء، والسجادة البيضاء، واللوحات الزيتية الفائقة الجمال، إلى المكتب الفخم ذي السطح الزجاجي والذي لا يعلوه سوى جهاز هاتف واحد ومفكرة مكتب وبعض الصور الفوتوغرافية التي كانت قد أحضرتها.

وهكذا تظاهرت بعدم الاكتراث لنظراته التي راحت تتنقل متمهلة بين

وجهها وشعرها المجعد الكثيف الذهبي، وقوامها الرشيق في ثوبها الفيروزي الحريري وساقيها في الجوربين الشفافين. أما ما أغاظها في كل هذا، فهو أنها حافية القدمين، ولسبب مزعج مقلق.

كانت قد خلعت حذاءيها في المصعد المكسوّ بالسجاد وهي متوجهة إلى مكتب ليتون ديكستر، إذ أرادت أن تريحهما قليلاً لشدة ما آلماها. ولكن المصعد توقف فجأة بعد انقطاع التيار الكهربائي، فتملكها الذعر، وهكذا عندما عاد التيار مجدداً، وتوقف المصعد عند الطابق الذي تقصده، وفتح أبوابه، اندفعت إلى الخارج وهي ترتجف خوفاً وارتياحاً.. من دون أن تنتبه إلى أنها حافية القدمين، فيما تابع المصعد تحركه.

راحت تضغط مذعورة على الأزرار، فتوقفت عندها ثلاثة مصاعد، إنما لم يكن بينها ذاك المنشود. وأدركت أن حذاءها الفيروزي الجميل الذي يناسب ثوبها تماماً، رغم أنه غير مريح، لا يزال يصعد ويهبط بين الطوابق.

كانت لا تحسد على موقفها، وهي تتوجه نحو موظفة الاستقبال، لتشرح لها قصة الحذاء بعد أن تأخرت على موعدها، ثم وهي تسير إلى موعدها حافية القدمين، وقد أحست وكأنها في جهنم، لتشرح قصتها من جديد وإنما هذه المرة.. لرجل.

دفعته قصتها إلى توجيه ابتسامته الماكرة إليها، فوجدت نفسها تتساءل عما يفكر فيه، ويخفيه وراء ابتسامته. أيحسبها شقراء تحب لفت الأنظار؟

سألها ليتون ديكستر، وهو يربت على الصور الموجودة على مكتبه:

ـ ألا توحي لك هذه الصور بالتمثال، يا آنسة فلوري؟

فقطبت جبينها، وقالت معترفة:

ـ لا، نعم، اسمع... لم يخطر هذا ببالي قط. كما أنني لم أفهم تماماً ما عنيته بكلامك عن الفتيات والخوخة في أعلى الشجرة، يا سيد ديكستر. ولكن، صدقني، جوليانا جونز مسرورة لاحتمال اختيارها عارضة أساسية للشركة.

ثم سكتت وانحنت فوق المكتب لتدير الصور نحوها: «أتبدو غير سعيدة برأيك؟».

فرد ببطء: «لا، لكنها تبدو لي متيبّسة بعض الشيء، إذا أدركت ما أعني. العينان رائعتان ولكن ينقصهما بريق الأنوثة».

لم تستطع ڤيڤيان أن تمنع ردها السريع والساخر:

ـ هذا لأن أحداً لم يصل إليها. شعرها رائع. صدقني، إن الفتيات كلهن يتمنين لو يمتلكن شعراً مثله.

أضافت جملتها الأخيرة بسرعة لتغطي التلميح الذي تضمنه كلامها.

أخذ ليتون يتأمل مطولاً شعر جوليانا الأسود اللامع المنسدل على كتفيها، ثم رفع نحوها تلك الابتسامة الماكرة وأخذ يتفحصها مجدداً.

هذه المرة لم تتمكن ڤيڤيان من ضبط نفسها، فتملكها شعور بالانزعاج وعلا الاحمرار وجهها. ولعل شعورها هذا ناجم عن عينيه الكسولتين واليقظتين اللتين بدتا وكأنهما تسبران أغوار نفسها.

ثم هز كتفيه ببساطة، وقال:

ـ أظن أن فكرة استغلال شعرك أنت في الإعلانات أفضل، يا آنسة فلوري. وفي الحقيقة، أظنك ستنجحين كعارضة أساسية للشركة.

ـ هل لأني أبدو وكأن أحدهم وصل إليّ؟

حملت عينا ڤيڤيان غضباً صادقاً وعارماً. ليس بسبب تلميحه وحسب، بل لأنها كرهت أن يفكر بها بهذه الطريقة.

تابعت تقول: «يا سيد ديكستر...».

عندها، قرع باب المكتب بخفة ثم فتح ليطل منه رأس موظفة الاستقبال:

ـ آسفة، ولكن بالنسبة لحذائك، يا آنسة فلوري...

فالتفتت ڤيڤيان إليها بلهفة: هل وجدته؟

ـ كلا، للأسف. لقد فتش الحارس المصاعد كلها، وسأل كافة المكاتب الموجودة في البناية. لكن يبدو أن أحداً لم يره.

فردت ڤيڤيان غير مصدقة:

ـ هناك من أخذه إذن. كيف يمكن لأحدهم أن يفعل هذا؟ آه، أرجو أن يؤلم الحذاء قدميّ التي أخذته كما آلم قدميّ.

تدخل ليتون ديكستر برزانة بالغة مصطنعة، قائلاً:

ـ من يسمع كلامك يظن أنك تشعرين بالارتياح لتخلصك من ذاك الحذاء.

فالتفتت ڤيڤيان تواجهه:

ـ إنك بالغ الذكاء، يا سيد ديكستر. لكن المشكلة الأساسية هي كيف سأتنقل حافية القدمين؟ بفترض أنك نكرت في الأمر.

ـ إن كانت سيارتك في الموقف تحت الأرض، فما عليك إلا أن تقفزي من المصعد إليها.

ـ لم أحضر بالسيارة، بل جئت بالقطار ومن ثم استقليت سيارة أجرة.

رفع حاجبيه وكأن تصرفها هذا بدا له سخيفاً وصعب الفهم. فما كان منها إلا أن صرت على أسنانها وقالت: «إن الطريق الرئيسي بين "بريسبن" و"شاطىء الذهب" غارق في الفوضى هذه الأيام لأنهم يوسعونه. ولم أشأ أن أتأخر عن الموعد إذا قطعوه، لهذا كان القطار الخيار الأفضل. وفي الواقع، كانت الرحلة في القطار مريحة للغاية.

قالت موظفة الاستقبال، وهي تنظر إلى ليتون ديكستر:

ـ هل لي أن أدلي برأيي؟

أومأ لها برأسه فأضافت: «بما أن أحدهم سرق حذاءك، يمكنني أن أرسل إحدى الفتيات لتشتري لك حذاء آخر، يا آنسة فلوري».

فقال ليتون ديكستر: «فكرة نيّرة، يا سيدة هاربر. افعلي ذلك في الحال. و... سندفع نحن ثمنه».

ثم نظر إلى ڤيڤيان التي قالت:

ـ بإمكاني أن أدفع ثمن حذاء..

فرد بحزم: «لا، لا. ما دام سُرق في هذا المبنى فنحن المسؤولون. ما هو مقاس حذائك؟».

ـ ستة ونصف.. ولكن، اسمع...

نهض واقفاً ودار حول المكتب لينظر إلى قدمي ڤيڤيان:

ـ أي لون تقترحين يا سيدة هاربر؟

ـ «بيج» فحقيبة يدها «بيج». وأقترح ألاّ يكون بكعب عالٍ. هل كانت هذه مشكلة حذائك، يا آنسة فلوري؟

أخذت ڤيڤيان نفساً عميقاً، وانفجرت فجأة ضاحكة:

ـ لا أتذكر يوماً أسوأ من هذا اليوم. شكراً لكما لكنني أصرّ على دفع ثمن الحذاء، فأنا من تركته في المصعد.

مدّت يدها إلى حقيبتها، فقالت المرأة الأخرى وهي تخرج:

ـ لن آخذ النقود ما دام السيد ديكستر لم يغيّر رأيه.

عاد ليتون ديكستر إلى مقعده، ثم شبك يديه وأسند إليهما ذقنه. أما ڤيڤيان فأغلقت حقيبتها ووضعتها على الأرض وعادت تركز على العمل. تذكرت وكالة الإعلانات حيث تعمل، والفائدة التي سيجنونها إن هم حصلوا على إعلانات الشامبو في شركة كلوڤر.

عادت تتأمل الصور الفوتوغرافية وتقاطيع وجه جوليانا الناعمة الجميلة، ثم قالت بجدية:

ـ حسناً، لعل رأي الرجال في النساء مختلف، ولكن قد يدهشك أن تعلم أن النساء يلبسن من أجل النساء الأخريات غالباً، وهن اللاتي يشترين الشامبو الذي تنتجونه. وقد عرفنا الآن ما يدور في ذهنك، يمكننا تنفيذ الإعلان بطريقة مختلفة بعض الشيء. يمكن أن تصور فيلماً دعائياً فرحاً بدل ذلك الجدّي.

ـ لا أظنك تتحدثين عن نفسك، على أي حال؟

فتحت فمها لتطلب منه ألا يعود إلى هذا الموضوع مجدداً، لكنها عادت وأطبقته ثم قالت: «لم أعمل "كفتاة إعلانات" من قبل، ولهذا قد أبدو أكثر تيساً.. من جوليانا. وإن لم تكن تبدو متيسة حقاً. كما أن هذا قد يجرحها...».

وسكتت فجأة، وقد اعتراها الاضطراب.

ـ لِـمَ لا تجربين ذلك؟

فمالت برأسها جانباً وقالت مقطبة: «أنت غير جاد طبعاً».

ـ على العكس.

ـ لماذا؟

فأجاب ببساطة: «أحب هذا النوع من الجمال. بالمناسبة، هل تقبلين دعوتي لتناول الغداء؟ بعد أن يشتروا لك حذاء بالطبع».

أحست ڤيڤيان بدوار لهذا المنحى المفاجئ الذي أخذته الأمور.

لاحظ ليتون ديكستر وقع كلماته عليها وضحك في سره. تأملها فرأى امرأة لا يكاد طولها يتجاوز المئة والخمسة وخمسين سنتمتراً هي كتلة من الحيوية البالغة تتدفق من جسد رشيق. هل هذا ما دفعه إلى الاستشهاد بذاك المثل الشعبي عن الفتيات والخوخ، الذي قرأه صدفة عند الصباح؟ ولعله قاله لكي يثيرها. وإذ بتلك العبارة التي استشهد بها، تفقد، لسوء الحظ، تلك الفتاة المجهولة، جوليانا جونز، وظيفتها... فهي تبدو كلوح من الخشب مقارنة مع هذه الفتاة وتباً لذلك!

قاطعت ڤيڤيان أفكاره المحبطة، بسؤاله: «الغداء.. أين؟».

ـ في الجهة المقابلة، مطعم إيطالي يتميّز بطعام لذيذ وخدمة ممتازة. لديّ عرض لك، يا آنسة فلوري.

طرفت ڤيڤيان بجفنيها وسألت بسرعة:

ـ أهو عمل، أم...؟

سكتت فجأة، لكن ما عنته كان واضحاً.

فقال ساخراً: «عمل، طبعاً».

رفضت أن تحمرّ خجلاً وردت عليه متمتمة:

ـ المعذرة، لكن لا يمكن للمرء أن يتنبأ بنوايا الرجال.

فقال بجد: «هذا صحيح».

وسادت لحظة صمت عادت لتقول من بعدها:

ـ أنت تسخر مني منذ وطأت قدمي هذا المكتب ولا بأس. قد أبدو مضحكة، ولكن هذا يكفي.

طرق الباب فلم يضطر ليتون إلى الجواب، ودخلت السيدة هاربر تحمل ثلاث علب أحذية:

ـ قصدت بنفسي متجر الأحذية وأحضرت هذه، لتختاري من بينها يا آنسة فلوري.

كتمت ڤيڤيان اشمئزازها من ليتون ديكستر، وأخذت تجرب الأحذية. قالت لها المرأة: «امشي قليلاً، قبل أن تقرري ما تختارينه».

وبعد قليل عادت تقول: «شخصياً، أفضل الحذاء الذي تنتعلينه الآن، يا آنسة فلوري. فهو أنيق وعملي أيضاً. ما رأيك، يا سيد ديكستر؟».

ـ شخصياً، أعجبني الحذاء الثاني. ربما ليس عملياً جداً، لأنه مفتوح من الخلف، لكنه يناسب قدميها.

وقفت ڤيڤيان وسط مكتبه ووضعت يديها على وركيها، ثم راحت تتساءل عما إذا كانت في مستشفى للمجانين. فقد اتكأ إلى كرسيه وعاد يتأملها وكأنهما وحيدان في الغرفة فيما هي تستعرض نفسها وكأنها امرأة جديدة سيضمها إلى حريمه.

لم تزعجها نظراته وحدها، وإنما محاولاته لجعلها تعي جمالها في ثوبها الفيروزي الحريري. كانت تحب هذا الثوب للغاية، ليس للونه فحسب بل لتفصيله، إذ لم يكن فاضحاً إنما بسيطاً أنيقاً ومناسباً جداً للعمل. فكيف يمكن لثوب اعتادت أن ترتديه، أن يجعلها تنتبه لتناسق جسمها؟

لكن لم يكن الثوب هو السبب بل ليتون ديكستر نفسه، وطريقته في النظر إليها. ومما زاد الطين بلة، أنه بدا خبيراً بالنساء، بحيث يمكنه أن يطلق عليهن حكماً صحيحاً، وتملكها الرعب وهي تتخيل نفسها وقد أصبحت واحدة في نسائه.

قالت بحزم وهي تشير إلى الحذاء الذي كانت تنتعله:

ـ سآخذ هذا الحذاء، يا سيدة هاربر. فهو... إنه يريح قدمي أكثر من الحذائين الآخرين.

ثم رمقت ليتون ديكستر بنظرة انتصار وأضافت: «أشكرك كثيراً فقد أزعجتك لكنني أصر على دفع ثمنه».

فردت المرأة وهي تضع الحذاءين الآخرين في علبتهما:

www.elromancia.com

- حسناً، سأدعك تنهين الأمر مع السيد ديكستر علماً أن ثمنه قد دُفع. سأعيد هذين إلى المتجر في الحال.

جلست ڤيڤيان ومدت يدها إلى حقيبتها، قائلة: «إن السعر مدوّن على العلبة، لذا...» وأخذت من حافظة نقودها المبلغ المطلوب، ثم وضعته على المكتب، ولكن الهاتف رنّ، واستغرق الاتصال خمس دقائق تقريباً فأخذت في هذه الأثناء، تتململ وتتحسس النقود.

وعندما انتهت المكالمة، وقبل أن يتمكن من الكلام، قرعت السيدة هاربر الباب مجدداً. بدت عليها خيبة الأمل حين دخلت وهي تحمل بين يديها حذاءً فيروزي اللون، وتقول باضطراب:

- أخذه شخص من المصعد، لكن لم يكن لديه الوقت الكافي لتسليمه للحارس قبل الآن، وكنت أنا قد أعدت الحذاءين إلى المتجر.

أغمضت ڤيڤيان عينيها وقالت: «أنا بحاجة إلى شراب».

فتمتم يقول: «فلنخرج لتناول الغداء، إذن..».

فتحت عينيها ونظرت إليه بحذر: «لم أقل هذا».

- يجب أن نناقش العرض.

ترددت للحظة، ثم هزت كتفيها حين تذكرت هدف زيارتها الحقيقي. عليها أن تنجح في إقناعه بتكليفها بحملة إعلانات شامبو شركة كلوفر.

* * *

لم تكن منطقة «إيفنديل» الصناعية منطقة واسعة، إنما نجد فيها بعض الحدائق والساحات ومطاعم صغيرة تتألق بألوان زاهية. ولاحظت ڤيڤيان أنها منطقة حيوية للغاية، يجرى في الجهة الغربية منها نهر «نيرنغ». كما تمتد في الجهة المقابلة، مباني ساحل الذهب ومنطقة البنوك، والحدائق العامة فضلاً عن مركز للفنون والمسرح.

اختار ليتون ديكستر مطعماً محاطاً بشجيرات قصيرة، يضج بالحياة والألوان الزاهية، تفوح منه رائحة الطعام الشهية. اصطف الزبائن عند المدخل، لكن ليتون لم ينتظر، بل اقتاده النادل على الفور إلى المائدة المخصصة له. وطلب كأسي

عصير في انتظار جهوز طعامهما.

وارتشفت بعض العصير، ثم ما لبث أن علقت: «هل تصدق أن شخصاً ما قد يعاني ما عانيته اليوم، يا سيد ديكستر؟ لا أعني أن تسخر مني مجدداً، ولكن عليك أن تعترف بأن فقدان حذائي يمكن وصفه بالمصيبة».

ابتسم لها ابتسامة عريضة وأجاب: «أعترف».

وفكرت ڤيڤيان في قرارة نفسها في أن علاقتهما الآن تبدو مجرد تقارب ودّي. ولا وجود لأي نوع من الانجذاب على الإطلاق.

- والآن، ما هو عرضك؟ آمل أن يحسّن يومي هذا!

فرمقها بنظرة هازلة تعني أنها لم تخدعه مطلقاً: «أريدك أن تتظاهري بأنك خطيبتي وذلك لمدة أسبوع، يا آنسة فلوري».

كانت ڤيڤيان ترتشف شرابها، فكادت تختنق وهي تقول: «ظننت.. ظننت.. قلت لي إن الأمر يتعلق بالعمل».

- وهو كذلك، قلت أن تتظاهري بذلك.

ثم تمتم للنادل الذي كان يضع الطعام أمامهما: «آه، شكراً».

نظرت ڤيڤيان إلى طعامها، ثم رفعت عينين جادتين نحو ديكستر الذي أضاف: «يبدو أنني صدمتك».

فأجابت بصراحة:

- هذا صحيح. هل لك أن تشرح لي لما عليّ أن أتظاهر بأني خطيبتك؟

- حسناً، لا تدعي طعامك يبرد. في الواقع، لدي التزامات اجتماعية لمدة أسبوع.. حيث قد أصبح.. فريسة لبعض النساء. فإن كانت خطيبتي معي، سيلزمن حدهن، أليس كذلك؟

رطبت ڤيڤيان شفتيها وابتلعت ريقها مراراً وهي تحاول استيعاب أقواله. ثم جازفت وطرحت عليه سؤالاً: «هل تنخدع بك النساء؟».

- نعم، للأسف. وإن كنت لا أعلم السبب.

فقالت بعجب: «ألا تعلم السبب؟ ألا تظن أن الأمر يتعلق بشرائك، ووسامتك، وشبابك؟».

www.elromancia.com

- إن كان ما تقولينه صحيحاً، فلا يبدو أنه أثّر فيك. أكاد أقسم أنك حاولت جهدك كي لا تصفعيني منذ قليل.

- أنت على حق.

نظرت إليه متأملة، وهي تتساءل لما يساورها شعور بأنه يتلاعب بها، ويسخر منها؟ بدا ليتون ديكستر كنمر ناعم خدّاع يلهو بفريسته.

ثم أضافت: «في الواقع ما زلت أرفض أي عرض لاعلاقة له العمل».

فقال بتكاسل: «ألا يمكننا إذن أن نبني علاقة صداقة لمدة أسبوع؟ أعني أنك لن تواجهي مشكلة النساء الأخريات، وستكونين عازلاً جيداً بيني وبينهن».

ردت بحزم: «لا، لا يمكنني ذلك. هل أنت مجنون؟ لا تقل لي إنك عاجز عن حماية نفسك، فأنت كبير كفاية».

أضافت جملتها الأخيرة بسخرية. فضحك عالياً، وقال:

- لا، لست مجنوناً. ماذا لو قلت إنني قبلت بجوليانا جونز و... سنعطي وكالتك، عقد عصير كلوفر؟

راحت ڤيڤيان تحدق فيه بذهول، بينما تابع كلامه قائلاً: «سيكون أمراً بالغ الأهمية. إننا نفكر، منذ مدة، بعرض إنتاجنا من العصير بحلة جديدة، من حيث الشكل والملصقات، أصحيح أنك شريكة في الوكالة؟».

- نعم، حسناً، بأسهم تعادل العشرة بالمئة فقط، ولكن... ولكن آرائي حول إعلان الشامبو لم تعجبك، مما جعل الأمور تختلط علي...

- وربما كانت أعجبتني لو لم أرك.

حدقت فيه مجدداً، وهو يقول: «كما أن إعلانكم عن العسل أعجبني جداً، لهذا اتصلنا بكم. أعتقد أنك لعبت دوراً كبيراً في تحضيره».

فردت بتخاذل: «هذا... هذا صحيح».

- وأنك حصلت على مرتبة الشرف من كلية الفنون؟

- أنت تحفظ دروسك بشكل جيد، يا سيد ديكستر.

- هل تعتبرين فترة أسبوع من وقتك أهم من الربح الذي قد يعود على

شركتك؟

- لكن هذه رشوة صريحة وابتزاز.

- حسناً، إنها مسألة أخذ وعطاء...

فقاطعته: «لا، كيف لي أن أعرف ما ينتظرني؟ قد تكون.. قد تكون.. لا أدري.»

- قد أكون، ولكنني لست كذلك. دعيني أعطيك مزيداً من التفاصيل. ستتزوج أختي قريباً، وفي الأسبوع الذي يسبق العرس تقام عادة حفلات يومية صاخبة. ستكون أمي موجودة في المنزل وستقام الحفلات في مزرعة الأسرة، لهذا لن تضطري إلى البقاء معي على انفراد. كما أن أمي من الوجوه البارزة في المجتمع، صدقيني.

كانت ڤيڤيان تأكل من دون أن تستمتع بطعامها، فقالت له: «وهل يقيم الأغنياء أعراسهم بهذا الشكل؟».

أجاب متحدياً: «ألا يفعل معظمنا هذا؟».

- ليس في (مزرعة الأسرة) يا سيد ديكستر.

- ستمضين وقتاً مسلياً، يا ڤيڤيان.

- لكننا لا نستطيع الإدعاء بأننا مخطوبان من دون أن نثبت ذلك من حين لآخر.

- يسرني أن أحترم رغبتك في عدم إظهار عواطف معينة. يمكننا أن ندعي أن الخطبة ما زالت غير رسمية.

أنهى طعامه ثم أزاح صحنه جانباً. فقالت له:

- وماذا عن أمك وأختك؟ كيف ستكون ردة فعلهما إن أحضرت معك إلى المنزل فتاة غريبة حتى وإن كانت الخطبة غير رسمية؟

- أمي وأختي لا تعارضانني عادة.

تأوهت محبطة: «أتصور ذلك! ولكن لا بد أن هناك... أن هناك سبباً آخر».

- هذا صحيح. أحسست برغبة في الإعلاء من قدري في نظرك.

www.elromansa.com

أنهت ڤيڤيان طعامها، وشربت جرعة ماء وكأنها تؤجل النظر في عيني ليتون الداكنتي الزرقة. فقد لامست أعماقها كلماته التي قالها بهدوء. شعرت بتلك القشعريرة الغريبة تمتلكها مجدداً. ما معنى هذا؟ فهي لا تشعر بالانجذاب إلى هذا الرجل، بأي شكل من الأشكال.

وأخيراً قالت: «إذا كان الأمر كذلك، فما عيب الطرق التقليدية في جذب الفتيات، يا سيد ديكستر؟ لم لا تعتمدها بدلاً من الرشوة؟».

تشابكت نظرات عينيه الزرقاوين بنظراتها: «هناك سببان، يا ڤيڤيان. فأنا أحب التحدي... وأشعر بأنك ستكرهين الحركات التقليدية. أما ما قد تفعلينه كي تحسني عملك، فهذا سبب آخر».

اندفعت ڤيڤيان تقول من دون تفكير: «هل هذه اتفاقية صادقة وشريفة يا سيد ديكستر؟ جوليانا جونز وعقد لإعلانات «عصير كلوڤر» مقابل أسبوع من وقتي أتظاهر فيه بأنني خطيبتك؟».

فأومأ إيجاباً فقالت: «اتفقنا إذن».

* * *

وفي الصباح التالي، سألها «ستان غودمان» أقدم شركاء مؤسسة «غودمان وشركاه»:

ـ كم عمرك، يا ڤيڤيان؟

ـ خمسة وعشرون عاماً تقريباً.

ـ ألست أكبر من أن تنخدعي بلعبة كهذه؟

ـ لم أستطع منع نفسي. وفضلاً عن ذلك، لاحظ العقد الذي حصلت عليه للشركة.

ـ وماذا سيحصل إن لم تتظاهري بأنك خطيبة ديكستر وحسب بل انتهى بك الأمر إلى الوقوع في شباكه؟

راح يتأملها من خلف نظارتيه.

ـ لم نأت على ذكر هذا، في الواقع. ولكن إن كنت تعتبر أني عاجزة عن صدّ رجل ما لمدة أسبوع، فأنت تظلمني.

ـ إنه ليس مجرد (رجل ما) يا ڤيڤيان.

هزت كتفيها بضيق، وردت:

ـ لا بأس. هناك الكثير من النساء اللواتي يحمن حوله، لكني نفرت منه منذ رأيته. في الواقع، يجهل ليتون ديكستر المأزق الذي أوقع نفسه فيه.

أسبل ستان غودمان يديه يائساً، وهو يقول بتضرع:

ـ إن كنت عاجزاً عن إقناعك بالعدول عن هذا الأمر، فعدني بألا تقومي بأي تصرف أحمق.

ترددت ڤيڤيان، فهي تعلم أن ستان سيحافظ على وعده لها، ولا يتحامل عليها فيما لو رفضت عرض ليتون ديكستر. لكنها تعلم أيضاً أن الوكالة بحاجة ماسة إلى عقد «شامبو كلوڤر» و«عصير كلوفر». كان أحد الشركاء القدامى قد انتقل إلى شركة أخرى، منذ أيام قليلة، وحمل معه بعض العقود المهمة لديهم. لهذا لم تشأ الخروج صفر اليدين من مكتب ليتون ديكستر في الأمس، علماً أن ستان يجهل اطلاعها على الورطة التي يعانون منها.

كانت ترى تأثير ما جرى عليه. فقد خسر الكثير من الوزن، وبدا عليه التعب والضعف. ومن جهة أخرى، لم تشأ أن يظنها تتجاوز واجبها نحو الوكالة فتزيد بهذا من مشاكله.

لهذا قالت له، وقد بدا عليها التفكير العميق:

ـ ستان، أظن أن الوقت قد حان كي يقوم أحدهم بخطوة ما. ولكن ثق بي، فسأحاول المستحيل كي لا نخسر صفقة العصير أو الشامبو.

ـ وماذا عن «رايان دمبسي؟».

حدقت فيه ڤيڤيان مدهوشة، لأنها نسيت كل ما يتعلق برايان الذي كان يعمل في الوكالة نفسها.

ـ لقد انتهت علاقتي برايان، منذ وقت طويل.

رفع ستان حاجبيه، فترددت ڤيڤيان ثم قالت بهدوء: «أعرف ما تظنه. تعتقد أنه حطم فؤادي، ولكن هذا غير صحيح».

حدّق فيها ستان، البالغ من العمر خمسون عاماً، وفكر في هذه الفتاة التي

www.elromancia.com

توقع نفسها في المشاكل غالباً، ثم تنهد في قرارة نفسه.. فهو يعرف ڤيڤيان منذ نعومة أظافرها، ويشعر أنه يعرفها أكثر مما تعرف هي نفسها.

كان ريتشارد فلوري، والد ڤيڤيان، صديقه المقرب. وعندما ماتت أمها، وهي في السادسة من عمرها، تحطم قلب أبيها ولم يتزوج مرة ثانية. وبما أنه مهندس مدني، فقد اعتاد أن يسافر كثيراً ويصطحب معه، في بعض الأحيان، ابنته ڤيڤيان، وفي أحيان أخرى، كانت تبقى في المدرسة الداخلية، فاعتاد ستان وزوجته إيزابيل أن يستضيفاها أثناء عطلة نهاية الأسبوع.

ولشدة ما كانت تكره الانفصال عن أبيها الحبيب، نشأ في نفسها خوف من الزواج، وتحوّل الإحساس بالخسارة الذي صحب أباها إلى قبره، إلى خوف من إقامة علاقة مع رجل ما، كي لا تفقده في ما بعد. كما أن نمط حياتهما لم يكن يتماشى والعلاقات الاجتماعية، إذ سرعان ما كانا يفترقان عن أصدقائهما وعن الأمكنة التي يألفانها. وعندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها توفي أبوها. أما العلاقة الوحيدة التي ربطت ڤيڤيان برجل، فعززت خوفها من الالتزام الجاد، فقد هجرها رايان دمبسي.

لكن هذا لا يعني أنها منطوية على ذاتها، تفتقر إلى الأصدقاء، وأنها لم تستغل قدراتها إلى أقصى حد، بمساعدته هو.

قال ببطء: «ڤيڤيان، هل تعين أنك دوماً تبعدين الرجال عنك؟».

فأجابت بهدوء وهي تطرف بعينيها:

ـ أنا... نعم يا ستان، وأظنني أعرف السبب. لنشأتي دور في ذلك.. أبي وما إلى ذلك... ثم «رايان»... أشكرك على اهتمامك بي.

ابتلعت ريقها وتنحنحت وقد امتلأت فجأة عزماً وتصميماً على كسب شركة «كلوفر» لحساب غودمان، هذا الرجل الذي لعب دور البديل لأبيها، والذي قادها إلى مهنتها هذه.

وتابعت تقول بحذر:

ـ أظنني افترضت أن الزمن سيحل الأمر، وكلي ثقة بأن هذا ما سيحصل. ولكن الأمر لا يهمني كثيراً، صدقني.

ـ على أي حال، أكره أن أراك تتألمين من جديد.. وهذا... هذا لعب بالنار.

ـ لماذا؟ ألأنه الرجل الذي لا يقاوم؟

لكن ستان لم يجب، بل اكتفى بالنظر إليها مطولاً، حتى تحولت هي عنه، وبعد لحظات، قالت له:

ـ أظنني أفهم ما تعنيه. لو أن الفضول لم يتملكني، لما وقعت في هذه الورطة. ولكن ألا ترى؟ لقد اصطادني كما تصطاد السمكة، ولعله يظن أنه حصل عليّ. ولكن هذا غير صحيح، وسيعلم لاحقاً السبب.

سألها متنهداً: متى ستذهبين؟

ـ بعد ثلاثة أيام.

وأعلمته بموعدها التالي في مكتب لينون ديكستر ثم أضافت ضاحكة:

ـ أصبح كل شيء جاهزاً لقضاء فترة من المرح والتسلية في مزرعة الأسرة.

ثم قطبت جبينها وقالت: «آه، نسيت أن أسأل عن مكانها».

ـ يمكنني أن أزودك أنا بهذه المعلومات. تقع في منطقة «هاوكسبري» وتبلغ مساحتها حوالى مئة فدان. وتضم ملعباً لكرة المضرب وبحيرة واسطبل خيول كما يملكون طائرتهم الخاصة. وسترين مرجاً أخضر للعب «الكريكيت» وثلاثة بيوت. يتألف البيت الرئيسي من طابقين، لونه أصفر وأبيض، يضم اثنتي عشرة غرفة نوم، أما اسم المزرعة (فهارفست مون).

أخذت ڤيڤيان تضحك، وقالت: «ستان، إذا كنت تحاول أن ترهبني، فهناك شيء لا تعلمه عني.. وهو أني أحسن لعب الكروكيت فقد تعلمت ذلك في المدرسة، فضلاً عن كرة المضرب والفروسية».

* * *

لكن، وبعد يومين، لم تعد تشعر بمثل هذه الثقة.

كانت حقيبة ثيابها مفتوحة على سريرها تحيط بها أكوام من الثياب، وقد تسللت أشعة الشمس الغاربة إلى شقتها الواقعة على ضفة «نهر بريسبين». كانت تعشق شقتها، وتعشق النهر، والجسر الذي تطل عليه.

تنهدت وهي تنظر إلى الفوضى التي خلّفتها على سريرها، ثم سارت نحو النافذة المطلة على هذا الجمال كله. وكانت قد اختارت لهذه الجهة من الشقة اللونين الأخضر والأصفر، فوضعت أريكتين ضخمتين يعلوهما قماش قطني ليموني نقشت عليه رسوم نباتات خضراء، وفرشت الأرض سجادة خضراء. كما اشترت أريكة من الحديد أمام منضدة ذات سطح زجاجي اعتادت أن تتناول الطعام عليها. توقفت عندها ثم أخذت تنقر عليها بخفة وهي تفكر أتراها تصرفت بحماقة حين قبلت الاشتراك في هذه اللعبة؟

تقدمت نحو الأريكة وجلست عليها متكدرة، وراحت تتذكر تحذير ستان. فهو لم يحذرها من نتائج موضوع ليتون ديكستر وحسب، بل نبهها إلى وضعها النفسي، ولا سيما انعزالها وانطوائها على نفسها، منذ كانت في الثامنة عشرة من عمرها.

ولكن، هل يعني ذلك أنها لم تقابل الرجل المناسب بعد؟ وماذا عن رايان..؟ حسناً، ظنت حينذاك أنه هو فتى أحلامها. واضطربت حين تذكرت كيف تخلت عن حذرها، واعتقدت أنها تجاوزت خوفها من الارتباط الجدّي، وأن الوقت قد حان ليتزوجا. لكنها اكتشفت بعد ذلك أن الرجل الذي ظنت أنها مغرمة به لم يكن يشاطرها الرأي نفسه.

فجلّ ما كان رايان دمبسي يبحث عنه هو المرح، والصحبة، والاهتمامات المشتركة.. نعم، هذا ما كان يربطه بها، ولم يكن يفكر في الزواج. وحين اكتشفت حقيقة مشاعره، أحست بالألم يعتصر فؤادها. فكانت هذه التجربة درساً قاسياً لها، علّمها أن تتوخى الحذر في علاقتها مع ليتون ديكستر، إذا ما تبيّن أنه الرجل غير المناسب لها. وستحصّنها خبرتها هذه ضد أي مشاعر ستخالجها وستدرك عندها أنها تلعب بالنار.

ولكن هل يعقل أن يكون الرجل المناسب؟ فهو يبدو واقعياً، بعيداً عن الحب والشاعرية كما قال بنفسه. فقد استخدم الرشوة لإقناعها.. ودفعها كل هذا إلى مقاومة الشعور الغريب الذي يتملكها إزاء جاذبيته الطاغية.

على أي حال، يمكنها أن تتراجع عن هذا الاتفاق في أيّ لحظة، لا سيما

وقد أوضح لها ستان موقفه... فهو لم يشأ أن تحضر للوكالة عقد إعلانات «عصير كلوفر» بأي ثمن أو وسيلة. كما أن ليتون ديكستر أعطاها رقم هاتفه كما فعلت هي، وذلك تحسباً لأي طارئ على حد قوله.

لا زال ذلك الرقم في مفكرتها في حقيبة يدها الموضوعة على المنضدة إلى جانب الهاتف.

مدت يدها إلى الحقيبة، وأخرجت المفكرة لتقلب صفحاتها، وما أن عثرت على الرقم المطلوب حتى رن جرس الهاتف، فرفعت السماعة.

ـ آلو؟ ڤيڤيان فلوري.

ـ أنا ليتون ديكستر، يا ڤيڤيان.

جمدت أوصالها وراحت تتساءل كيف نسيت ذاك العمق في صوته الأبح.

رطبت شفتيها وهي تجيب:

ـ آه، مرحباً.

ـ أتصل بك لأطمئن على اتفاقيتنا، ألا زالت قائمة؟ إن فَتُرت حماستك، أعلميني حالاً.

سكتت للحظات، وقد أحست بدفق من المشاعر المتضاربة. شعرت بالغيظ، إذ بدا صوته عملياً، جافاً، وغير شخصي. وسرت القشعريرة في جسمها حين أشار إلى (فتور حماستها).

ـ كلا، ليتون. أظنك لا تمانع إن ناديتك باسمك؟ لا، لم تفتر حماستي. ماذا عنك أنت؟

لم يجب على سؤالها بل قال:

ـ حسناً.. اسمعي! طرأ تغيير طفيف على الخطة. أنا، حالياً، في «بريسبين» وأنوي أن أستقل الطائرة إلى البيت في صباح الغد من هنا وليس من «كولانغاتا». ما رأيك لو تناولنا العشاء معاً هذه الليلة؟ فهكذا يمكنني أن أحدثك عن أسرتي، وأن أصطحبك معي غداً صباحاً إلى المطار.

قالت ببطء، وهي تفكر في أن هذا التغيير قد يشكل منفذاً جديداً للهرب:

ـ يبدو هذا.. جيداً. آه، لكني لم أحزم أمتعتي بعد، ما رأيك لو قصدنا

www.elromancia.com

مكاناً قريباً من بيتي؟ كضفاف النهر مثلاً؟

فأجاب: «لا بأس».

ذكر لها اسم مطعم تحبه لشرفته المطلة على النهر ثم أضاف: «في السادسة والنصف، إلى اللقاء» وأقفل الخط.

نظرت ڤيڤيان مطولاً إلى السماعة، وودت لو ترميها أرضاً. لكنها لم تفعل، بل عزمت على معاملة هذا الرجل بالمثل.

* * *

شقت طريقها بين جموع الساهرين، الذين يستمتعون بجمال الأمسية وسحر النهر، وتوجهت نحو الطاولة التي جلس ليتون إليها.

بدا هذه المرة، غاية في الأناقة، في بذلته الرمادية وقميصه الأبيض وربطة عنقه الكحلية. أما هي فارتدت ملابس بسيطة: بنطلون أبيض أنيق وكنزة بيضاء ناعمة، مطرزة بصدفات بحرية تصل إلى خصرها الرشيق، وانتعلت حذاء خفيفاً وردي اللون. كان شعرها، وكالعادة، خصلات مجعّدة ثائرة، كما لم تتزين، ولم تضع أي مجوهرات.

أخذ يتأملها وهي تقترب منه. وعندما وصلت إلى الطاولة التي اختارها، راحا يحدقان في عيني بعضهما البعض، للحظات بدت طويلة ومشحونة.

لم ترَ ڤيڤيان في عينيه القاتمتي الزرقة أي تعبير، ولكن بدا فمه متوتراً للغاية. وساورها شعور بأن الماثل أمامها نسخة أخرى لليتون ديكستر. تختلف عن ذاك الساحر الماكر الذي التقته منذ يومين. كان رجلاً يعكس الصورة التقليدية لرئيس شركة كبرى، ولم يكن شخصاً يستخف به. بدا كالنمر الطليق، وأبعد ما يكون عن المزاج العابث. أخذتها أفكارها هذه إلى عالم من الأحلام، فأحست باضطراب شديد. ولكن لسبب آخر . . .

لاذت بالصمت فيما راحا يتبادلان نظرات مشحونة. ثم تململت بقلق وقد شعرت بنظراته الخبيرة تقيّمها من جديد. لكنها عجزت عن قطع هذا التواصل بينهما، وعن غض طرفها بل شدتها نظرة عينيه الزرقاوين إليها.

لكنه قام بالمبادرة، إذ وقف وابتسم لها ابتسامة متكلفة، وسحب الكرسي

لتجلس عليه: «يبدو وكأنكِ بدأت عطلتك، يا ڤيڤيان».

فردت وهي تجلس: «شكراً، على عكسك أنت».

ـ كنت مشغولاً للغاية اليوم، غداً سأرتاح.

أشار إلى النادل، ثم ناولها قائمة الطعام، فاختارت طبقاً من القريدس وسلطة يونانية، وحذا هو حذوها. وعندما ابتعد النادل، أخرج من جيبه علبة مخملية وضعها أمامها.

فرفعت عينيها العسليتين إلى وجهه وقالت ساخرة: «لا أظنه . . . خاتم خطبة»؟

ـ إنه خاتم من نوع آخر.

جاهدت ڤيڤيان لتكبح غضبها الصارم، وأمسكت بالعلبة لتفتحها. رأت خاتماً من البلاتين، مرصعاً بماسات صغيرة، وفي وسطه ماسة مربعة الشكل، وردية اللون. لم تكن هذه الماسة كبيرة لكنها أذهلتها بلونها الأخّاذ وإشعاعها الرائع.

ـ حسناً، إنه جميل يا ليتون. ولكن بما أن الخطبة غير رسمية، سأضعه في يدي اليمنى.

كان «الخاتم» ضيقاً بعض الشيء على إصبعها فأدركت أنه سيناسب يدها اليسرى تماماً.

ـ كيف عرفت مقاس إصبعي؟

ـ ذكرت للصائغ مقاس حذائك، ويبدو أن هذا الأمر ساعده، لكني أفضّل أن تضعيه في يدك اليسرى.

ـ إما أن تدعه في اليمنى، وإما أن تأخذه، يا سيد ديكستر.

ـ أتوفرّين يدك اليسرى لخطبة حقيقية.

ـ نعم.

ـ وهل تقدم أحدهم لخطبتك، يا ڤيڤيان؟

رفعت حاجبيها وقالت: «أتعني هل عرض عليّ أحدهم الزواج؟ لا، ولكن هذا لا يعني أن الأمر لن يحدث. ماذا عنك أنت؟ هل فكرت في الزواج

جدياً، يا ليتون؟».

ـ لا، ولكن هذا لا يعني أنني لم أتلقّ بعض. . . الإقتراحات.

هزت كتفيها وردت: «هذا مؤسف. أعني، ألا تعلم ما إذا كن يردنك أنت أم مالك؟ ما تحتاجه حقاً هو أن تقع في غرام فتاة ثرية. فإذا لم تكن ثروتك هي الحافز، يمكنك حينذاك، إذا ما فشلت، أن تبحث عن العلة في شخصك».

ـ مثل ماذا؟

وصل العصير في هذه اللحظة الحاسمة من الحديث، فتحوّل انتباه ڤيڤيان في الحال. ثم قالت:

ـ متحفظ، أنيق نسبياً. إنما فاتر للغاية، أرجو ألا يزعجك رأيي هذا.

طرف ليتون ديكستر بجفنيه، وسألها: «ما الذي يعجبك في الرجال، يا ڤيڤيان»؟.

وحملقت فيه، ثم ارتسم المرح في عينيها. أسدلت أهدابها وهي تجيب:

ـ الجريء المفعم بالحيوية. أفضل الشاب من أصل لاتيني، يا ليتون. لا سيما، إن كان شعره طويلاً. . ولا مانع عندي من أن يضع في أذنه قرطاً غريب الشكل وأتمنى أن يجيد الطهي. كما أحبه راقصاً ماهراً لأنني أعشق الرقص كمايمكن أن أقضي وقتاً ممتعاً مع شاب يميل إلى ارتداء الملابس الملونة الغريبة.

بقي صامتاً، وعندما رفعت نظرها إليه لاحظت نظراته الساخرة، عندها قال:

ـ ظننتك تتحدثين عن الورقة الملصقة على زجاجة عصير كلوڤر يا ڤيڤيان؟

فضحكت وأجابت: «كنت أفعل. آسفة. . . لم أشأ تضييع الفرصة. ولكن لا تنبذ الشبان اللاتينيين بشكل آلي، يا ليتون، لأنهم المفضلون عندي من بين الرجال. بالمناسبة، عندي أفكار جديدة لملصقات إعلان العصير. أتحب أن تراها»؟.

أومأ بالإيجاب، فأخذت تفتش في حقيبتها، وبعد لحظات، رفع رأسه قائلاً:

ـ ها قد استعدت شخصيتك الحقيقية، يا ڤيڤيان فلوري.

* * *

٢ ـ الرجل ذو الوجهين

تعاقبت على وجه ڤيڤيان تعابير وانفعالات مختلفة. فسألته، وهي تشير إلى الأوراق الأنيقة: «هل أعجبتك؟».

راح يتأمل الرسوم مجدداً. حملت كل لوحة، رسم رجل وامرأة. في الأولى، رجل وامرأة يجلسان على حائط صغير وقد لف كل منهما ذراعه حول كتف الآخر، وراحا يتأملان حقلاً من القمح. كان ثوب المرأة يتطاير حولها فيما ارتدى الرجل ثياباً سوداء. . . وبدا شعره الطويل مربوطاً إلى الخلف. ومثّل الرسم الثاني رجل وامرأة يمسك أحدهما بيد الآخر ويقفان قرب شجرة سرو سامقة. أما الرسم الثالث فكان لرجل يعانق امرأة قرب جدول ماء.

استخدمت ڤيڤيان البنفسجي والذهبي والأخضر والأزرق في رسومها. وكتبت إلى جانب الصورة وبشكل عمودي كلمة (كلوڤر).

ـ أعجبتني كثيراً، ما الذي جعلك ترسمينها؟

أسندت ذقنها إلى يديها وهي تقول:

ـ كنت أفكر في العصير. . أفكر فيه كمنتج حيوي، مستخرج من الطبيعة الأم. وفكرت في المشاعر الإنسانية خصوصاً، وهو ما لا تعبّر عنه الملصقات القديمة.

ومرّرت إصبعها على الورقة الملصقة على زجاجة (كلوڤر) ثم أكملت: «يجب أن يُشرب احتفالاً بالحب، بوجبة طعام لذيذة، أو حتى لمجرد أن. . .» وسكتت، فقال يحثها: «تابعي حديثك».

ـ لقد أسأت فهمي. على أي حال أنت لم تختبر شعور من سُرق حذاءه.

تغيرت تعابير عينيه وبدا فيهما المرح، ثم أخذ يضحك، فشاركته قهقهات الضحك، وقالت: «هيا، أخبرني عن أسرتك التي أنا على وشك خداعها».

أحضر النادل الطعام، وعندما انصرف، قال:

ـ من الأفضل أن أبدأ بأمي . . . إنها أرملة منذ عشر سنوات، وتؤمن بالقيم الأخلاقية. وهي عنصر فعّال في ميدان العمل الإنساني، إذ تدعم مؤسسات خيرية عدة، كما أنها من النوع الصريح للغاية. ثم هناك مرغريت، أختي. إنها في الثانية والثلاثين من عمرها، ستتزوج من رجل يدعى «إدي»، ونحن نناديها باسم «ماغ». وأخي الأصغر «رالف»، وهو العضو الوحيد الذي يسيء إلى سمعة الأسرة.

ـ من أي ناحية؟

ـ إنه فنان.

فقالت باحتجاج: «وما العيب في ذلك؟»

فرد بجفاء: «لا شيء، ولكنه ينفق مبالغ طائلة على . . .»

ثم هز كتفيه ولم يكمل كلامه.

ـ ما نوع الفن الذي يهواه؟

ـ الموسيقى. انضم إلى فرق روك فاشلة جداً.

ـ أفترض أنك ووالدك لا تميلان إلى الفن؟

وتابعت حديثها ضاحكة: «وإلى موسيقى الروك خصوصاً؟»

ـ لقد قامت الدول على المهن والتجارة.

ـ لا أعني هذا. ولكن لعلّ رالف المسكين يعاني من عقدة نقص لأنه لا يتمتع بحسّك العملي.

فكر ليتون قليلاً وأجاب: «قد تكونين على حق ولكن رالف حر في خياراته».

فقالت ممازحة: «يحمل صوتك نبرة حذر وعدم تحمّس، يا ليتون. . . ولكن هذا ليس من شأني، كم يبلغ عمره؟»

ـ السادسة والعشرون. .

فسألته بفضول: «وكم يبلغ عمرك أنت؟»

ـ خمسة وثلاثون عاماً، فرق السن كبير بيننا، في الواقع. لا بد أن عمرك أنت. . . أربع وعشرون سنة؟

ـ بل خمسة وعشرون وسأبلغ السادسة والعشرين قريباً. هل تعتبرني صغيرة في السن؟

ـ ما الذي جعلك تظنين ذلك؟

فهزت كتفيها، وقالت: «لا أدري، إنه مجرد سؤال، لقد سألتني أنت عما يعجبني في الرجال».

ـ أظنني أشرت إلى ذلك في اجتماعنا الأول. وأنت لم تتصرفي عكس الطبيعة حين سألتني عما يعجبني في النساء.

واستند إلى الخلف، حاملاً كأس شرابه في يده.

ـ عندما تتكلم بهذه الطريقة، يا ليتون ديكستر . . .

لكنها لم تكمل جملتها بل سكتت وقد تملكها الإحباط.

انتظر نهاية جملتها، رافعاً حاجبه ببرودة، وأدركت أنه يسخر منها. فتابعت تقول وهي تصر على أسنانها من فرط غيظها: «تزعجني إلى أقصى حد. كنت تنظر إليّ وكأنني. . كأنني مومس».

ـ على المرء أن يكون قوياً ليقاوم كافة الإغراءات.

فشهقت:

ـ كيف تعترف بهذا؟

فتمتم يقول:

ـ لأنني إنسان.

ـ هذا يجعل الأمر أسوأ. . . إذا كان هذا ظنك بي، وتريد أن تتراجع عن اتفاقنا، فاعلمني بذلك.

ـ لا أريد التراجع، فهل تريدين أنت ذلك؟

تشابكت نظراتهما، وبدت السخرية في عينيه في حين التمعت عيناها غضباً.

www.elromancia.com

ـ إن كنت ستعاملني كموس . . وإن كنت ستتعالى عليّ وتطلق أحكاماً مسبقة فأنا . . .

فقاطعها قائلاً :

ـ أنا آسف، لن أكرر ذلك . فمن المؤسف أن نخسر نبوغك وإبداعك .

أدارت ڤيڤيان عينيها نحو الرسوم . فقال :

ـ إنها مدهشة في الواقع . إنها أكثر شاعرية مما يتوقعه المرء منك .

ردت عليه بحدة :

ـ أنت لا تعرف شيئاً عني . هكذا تعمل العقول المبدعة، بسبْرها الإحساس . . . بالأشياء .

ـ لا بد أنك تحسّين بالحب الشاعري . . ولكن قبل أن نعود إلى اتفاقنا . أنحن في جلسة عمل أم ترفيه؟

فتحت فمها لتجيبه ثم عادت وأطبقته . عندما تراءى لها وجه ستان غودمان المرهق، قالت دون اكتراث :

ـ بل في عمل، يا سيد ديكستر . لهذا عليّ أن أذهب إلى بيتي لأحزم أمتعتي . قيل لي إنه عليّ أن أحمل معي ثياباً للسباحة . . والتنس . . وركوب الخيل . . وحتى الكركت . . هذا ما عدا ملابس السهرة والرقص وما إلى هنالك؟

ـ من قال لك كل هذا؟

ـ شريكي ورئيسي في العمل، ستان غودمان، هل هو مخطىء؟ لم أسأله كيف علم بكل هذه التفاصيل عن مزرعتكم هارفست مون .

فقال ليتون ديكستر وهو يقف : «معلوماته صحيحة» .

وقفت ڤيڤيان بدورها وانتظرا حتى سددا الحساب، ثم خرجا جنباً إلى جنب . وفي الخارج، سألها :

ـ هل يمكنني أن أوصلك حتى باب شقتك .

فأجابت : «آه، لا داعي لذلك . أقيم على بعد خطوات فقط» . . . ثم سكتت فجأة، وقد بدا عليها الإرتباك .

فتمتم :

ـ لم أكن أفكر في اكتشاف مكان إقامتك عنوة، لكن يجب أن أعرف من أين أقلك غداً إلى المطار .

وكانا على وشك الوصول إلى الممر المؤدي إلى النهر، والليل قد أسدل ستاره، لكنه استطاع أن يرى الاحمرار يصبغ وجهها . عرفت ذلك من ابتسامته الساخرة، فقالت بسرعة مدافعة عن نفسها :

ـ كم دفعت ثمن هذا؟

ورفعت يدها اليمنى التي تحمل الخاتم . فهز كتفيه :

ـ حوالى . . . الستين ألف دولار .

خلعت ڤيڤيان الخاتم، وأخرجت علبته من حقيبتها ثم ناولته إياها، قائلة : «خذ، لن أضعه» .

ـ لماذا؟

نظرت إليه بثبات وقالت :

ـ لدي أسباب عملية تدفعني للعب هذا الدور . لعلي علقت كالسمكة في الصنارة، لكني لا أود أن أضع على جسمي ستين ألف دولار من ثروتك .

ـ يا للفصاحة!

وأخذ العلبة ليضعها في جيبه .

تسارعت أنفاسها، ثم عاودت السير وهي تقول :

ـ كما أنني أكاد لا أضع المجوهرات، ما عدا لآلىء أمي . وأكتفي بوضعها في المناسبات الكبرى . لهذا قد أفقد هذا الخاتم بسهولة .

ـ إن هذا الخاتم مؤمّن عليه . بالمناسبة، كلما تزيّنت بالجواهر كلما زاد جمالها .

ـ أشكرك على هذه النصيحة، لكن . . .

ثم سكتت محبطة، لتضيف بعد حين : «صدقني، أنا لا أحب المجوهرات، وإن كنت أشعر بالحنين إلى لآلىء أمي» .

ـ أظن أن اللآلىء ستبدو مذهلة عليك ، يا ڤيڤيان .

www.elromancia.com

توقفت واستدارت لتواجهه. لكنه حافظ على هدوئه ووقف يتأملها، وقد دس يديه في جيبي بنطلونه

- في الواقع، أكاد أراك تضعين اللآلئ وحدها...

قالت له بلهجة متوترة:

- ألم نتفق على عدم اعتماد أسلوب الكلام الذي يحمل أكثر من معنى؟

- اتفقنا على ألا أجعلك تشعرين وكأنك مومس، لكن ما قلته تعبير عن عاطفة صادقة. لأننا، يا ڤيڤيان، لا يمكن أن نمنع أنفسنا من الانجذاب لبعضنا البعض. فهذا الشعور موجود... بيننا».

فقالت بلهجة لاذعة، بالرغم من ارتجاف صوتها:

- أتظن ذلك؟ أشك. ومن ناحية أخرى، أنت تعاقبني لأني أعدت لك خاتمك. وهذا ما أعتبره تصرفاً دنيئاً.

فبدت على وجهه ابتسامة شيطانية وقال:

- حسناً، وهل أصبت الهدف؟

صرفت بأسنانها وأسبلت أهدابها، وقد بدا عليها الارتباك.

- ظننتك تستمتعين بالتنافس، يا ڤيڤيان.

- أنت مخطئ، وهذا رأيك الشخصي. لنعد إلى ما كنت أقوله قبل...

- قبل أن أطلعك على أفكاري؟ كنا نتحدث عن السبب الذي جعلك تخلعين خاتمي من إصبعك.

نظرت إليه بمرارة، ثم عاودت السير مجدداً وهي تلوح بحقيبتها:

- هذا صحيح. كنت سأقول إن عدم اهتمامي بالمجوهرات يشكل سبباً كافياً كي لا تشتري لي خاتماً.

- سأستعمل هذا العذر إذا ما سمعت تعليقاً بهذا الشأن.

رفعت بصرها إليه، ثم انفجرت تقول:

- تباً! هل اشتريته لي خصيصاً أم... ماذا؟

سكتت فجأة، لأن الكلمات خرجت بشكل عفوي، من دون أن تدرك أن هذا ما يعذبها في عقلها الباطن. بدت في عينيه نظرة غامضة وقال:

- سأخبرك يا ڤيڤيان حين تقررين وضعه في إصبعك.

* * *

في صباح اليوم التالي، وقفت ڤيڤيان في ردهة شقتها ووضعت حقائبها عند قدميها ثم أخذت تتفحص مظهرها في المرآة.

كانت ترتدي بنطلوناً تبنيّ اللون، وقميصاً يتماشى معه، كما اختارت سترة كحلية فوقهما. غسلت شعرها وتركته ينسدل على كتفيها خصلات ذهبية مجعدة. كحّلت ڤيڤيان أهدابها الطويلة بلون قاتم أبرز لون عينيها الأخضر الذهبي، لهذا لم تزعج نفسها باستخدام الماسكارا.

لم تتبرج، لكنها اعتنت بأناقة ملابسها. وكافحت لتصفف شعرها في خصلات مجعدة عفوية جعلتها خلف إحدى أذنيها فبدت طبيعية جداً. ولم يكن في مظهرها أي عيوب أو غرابة يمكن أن تثير تعليقات تلك المجموعة الثرية في مزرعة «هارڤست مون»... فما الذي يزعجها إذن؟

جلست على حقيبة ثيابها وأقرّت بأن مظهرها الخارجي ليس المشكلة بل شجاعتها وتوازنها الداخلي... أزعجها ليتون ديكستر ليلة أمس بما يكفي. ولكن قبل أن يفترقا عند مدخل بنايتها الفخم، حدث ما أثّر في نفسها، ما أخرسها ومنعها عن التفكير أو النطق. لقد أذهلها الفضول... فما حقيقة هذا الرجل؟ وراحت تتساءل عما يكمن وراء وجهيه المتباينين؟ ووراء تلك اللمسة الفولاذية التي برزت نقيضاً لـ... السخرية. كما بدا أكثر استرخاء من الرجل الذي عرفته في اجتماعهما الأول. وأثارت فيها طبيعته هذه مشاعر متضاربة، عجزت عن التحكم فيها.

أم لعله أمر آخر؟ أهو الانجذاب الذي تنكر وجوده باستمرار؟ فقد ارتجفت فجأة، ثم راحت تتكلم دون توقف: «حسناً، ها قد وصلنا، سأنتظرك هنا في الغد، يكفي أن تحدد لي الوقت».

وقف أمامها وهو يضع يديه في جيبي بنطلونه، وراح يتأملها مفكراً. كان رجلاً طويل القامة، مهيب البنية، بالغ الأناقة ببذلته الرمادية، تحيط به هالة من النفوذ والقوة، وهذا ما جعلها تشعر بالضآلة والضعف، وبنظراته الغامضة

www.elromancia.com

تتفرس في تفاصيل وجهها وجسمها.

وقال أخيراً: «لست واثقاً من الموعد بالضبط، لكن كوني مستعدة حوالى الساعة السابعة. سأتصل بك عندما أصل»

فأجابته: «فكرة حسنة، إلى اللقاء إذن، وشكراً على العشاء». ولم تستخدم المصعد بل اجتازت الباب دون أن تلتفت إلى الوراء.

أقلقت هذه الأفكار نومها، واعترفت بذلك وهي تجلس على حقيبة ملابسها، منقبضة القلب. لم تفكر، حتى اليوم، برجل بما يتعدّى الصداقة إلا بعد مضي وقت طويل على معرفتها به وإعجابها به... عند ذلك يتملكها الخوف وتضع حدوداً لصداقتها معه. وهذا ما حصل مع رايان، فقد تزايد إعجابها به حتى تنبّهت إلى أنها تكاد تقع في غرامه.

لكنها لم تنجذب يوماً إلى رجل لم تقابله سوى مرتين كما حدث لها مع ليتون ديكستر. كانت هذه تجربة جديدة مزعجة، إذ استلقت لساعات مستيقظة، تفكر فيه. شعرت بانجذاب خطير نحو هذا الرجل الغامض، وبدا لها هذا الشعور محيراً للغاية، خاصة بالنسبة لفتاة مثلها هي.

ثم اتسعت عيناها حين راودتها فكرة مفاجئة. فلعل ما يجري أمر طبيعي بالنسبة لليتون ديكستر؟ وأدركت فجأة أن هذا ما ضايقها منذ البدء.. كان يعرف تأثيره على النساء، فيختار منهن من تعجبه. كيف ستحمي نفسها منه؟ رن جرس الهاتف، فرفعته وسمعت صوت ليتون ديكستر.

ـ أنا... أنا قادمة، سأنزل.

أقفلت السماعة وفتحت باب الردهة. ثم وقفت جامدة للحظات قبل أن تجر أمتعتها إلى الباب.

* * *

عندما انفتح باب المصعد في الطابق السفلي، دفعت حقيبتها إلى خارجه وأتبعتها بحقيبة يدها وأمتعتها الأخرى فكادت تصطدم بليتون ديكستر. عندها، قالت لاهثة:

ـ آه، آسفة.

ـ لا بأس، بالرغم من أني لم أصطدم من قبل بحقيبة على عجلات.

ـ أنا لا أحب.. المصاعد. وخاصة بعدما حصل لي في مصعدك..

ـ لماذا تسكنين إذن في بناية شاهقة؟

فهزت كتفيها قائلة:

ـ أقيم في الطابق الثالث. وأنا أستعمل السلالم في أغلب الأحيان، وهذا مفيد للقوام.

راح ليتون يتأمل قوامها، ثم تمتم قائلاً: «أعترف أني أوافقك الرأي».

كان يرتدي بنطلوناً كاكي اللون وقميصاً مقلماً باللونين الأزرق والأبيض وقد ثنى الكمين إلى أعلى: «بالمناسبة، ركنت سيارتي أمام الباب الأمامي لهذا علينا ألا نضيّع الوقت».

فقالت له بحدة: «آه، لا! يمنع وقوف السيارات هنا».

ثم ما لبثت أن تغيرت ملامحها عندما وقعت عيناها على سيارة رولز رويس رمادية تقف أمام الباب: «أنا واثقة من أنهم سيستثنون سيارتك، وإن كان هذا لا يعجبني».

ـ لن أكرر فعلتي.

خرجا من الباب ووضع لها حقائبها في صندوق السيارة ثم صعد إلى جانبها وهو يقول: «إنه يوم رائع للطيران».

فقالت وهي تنظر إلى السماء الصافية:

ـ نعم، والحمد لله.

ـ إذن، أنت لا تستعملين المصاعد إلا عندما تحملين أغراضاً كثيرة؟

اتكأت ڤيڤيان إلى ظهر مقعدها وقد أعجبتها رفاهية السيارة البالغة.

ـ طبعاً لا، فأنا لست من هواة صعود السلالم، وأضطر لاستعمال المصاعد في العمل وفي أوقات أخرى. أما في بيتي فأفضل أن أمشي. كما أن المسؤول عن المبنى لطيف للغاية، وعندما أشتري حاجياتي أتركها عنده فيحملها إلى شقتي.

أنهت كلامها ولاذت بالصمت معظم الوقت، ولم يبد عليه أنه لاحظ صمتها، إذ تلقّى اتصالين هاتفيين أثناء الرحلة. وفيما استسلمت للاسترخاء،

www.elromancia.com

صبّ هو اهتمامه على القيادة وعلى أعماله.

وقالت له فجأة عندما تجاوز المنعطف المؤدي إلى المطار المحلي: «أظنك تجاوزت المنعطف».

فالتفت إليها قائلاً:

ـ لا، نحن ذاهبان إلى مركز «الملاحة الجوية العامة».

ابتلعت ريقها وقالت:

ـ أنت لا تعني... لست متوجهاً إلى مركز الطيران التجاري؟

ـ بل أعني ذلك.

تابع سيره، وتجاوز بسيارة الرولز سلسلة من البوابات إلى أن توقف أخيراً أمام أحد المدارج حيث وقفت طائرة وحيدة.

ـ أنت لست جاداً؟

اضطربت ڤيڤيان حين سمعت صوتها المرتفع، في حين قطّب جبينه.

ـ سنستخدم هذه الطائرة لنتنقل إلى المزرعة. صدقيني إنها أفضل طريقة للسفر، فهي توفر علينا رحلة طويلة بالسيارة إلى المزرعة، و...

فقاطعته وهي ترتجف:

ـ قد تكون أفضل طريقة للسفر بالنسبة لك، لكن ليس بالنسبة لي.

ـ اسمعي يا ڤيڤيان! عندما أنهيت دراستي، التحقت بالقوات الجوية، وعملت كطيار لسنوات عدة. يمكنني، في الواقع، أن أقود طائرة أكبر منها وأكثر تطوّراً.

لكنها قطعت كلامه قائلة برزانة:

ـ أنت لا تفهمني، ماذا كنت أفعل برأيك في الدقائق العشرين الأخيرة؟

ـ ماذا؟ كنت هادئة بعض الشيء، ولكن... ليس لدي أدنى فكرة.

فردت بعنف: «تماريني. أخبرتك أني لا أحب العلو. حسناً، أنا أكره الطيران أيضاً. وعليّ أن أقوم بسلسلة من التمارين للاسترخاء كل ما استقليت الطائرة. يمكنني الآن أن أركب طائرة تجارية، بفضل الطبيب النفساني، ولكن لا يمكنني أن أستقل شيئاً خفيفاً صغيراً كهذا».

ساد صمت مطبق للحظات، راح بعده يضحك برقة، فقالت له بانزعاج: «هل ترى في هذا أمراً مضحكاً...».

ـ ڤيڤيان. هذه ليست شيئاً خفيفاً صغيراً. يمكنها أن تنقل تسعة أشخاص، وهي سريعة جداً ومعجزة التقنية الحديثة. آه، حسناً... نعم، أنا أضحك، لأنني أفكر في كافة الجوانب.. المصاعد.. العلو ثم الطائرات، في حين كنت أظنك فتاة عصرية.

فقالت عابسة: «أنا فتاة عصرية غالباً».

ـ هل أنت واثقة من أنها مشاكلك النفسية الوحيدة؟ أود أن أعرف كي لا أقترف الغلطة نفسها مرة أخرى.

فما كان منها إلا أن نظرت إليه بمرارة وردت:

ـ نعم.

ـ لا بأس، فلنرى إذن ما يمكنني فعله لحل هذه المشكلة.

وبعد نصف ساعة، كانت تجلس إلى جانبه في قمرة القيادة.

كان الإنجاز رائعاً، رغم أنها لم تصل إلى مرحلة الإعتراف بذلك.

قدّمها أولاً إلى الميكانيكيين المسؤولين عن صيانة الطائرة فأخذوها بجولة في الطائرة. وتأثرت بخبرتهم وحماستهم وباحترامهم البالغ لليتون ديكستر.

لم يسمح للتوتر الذي ساد بينهما بالظهور، كما كتمت خوفها من العلو. كان يعاملها كصديقة راشدة. فسألها، والطائرة تتحرك على أرض المطار:

ـ هل أنت على ما يرام؟

كانت تضع سماعتين على أذنيها بعد أن علّمها كيف تستعمل الميكروفون عندما يتحدثان، وتستمع إلى برج المراقبة في الوقت نفسه. كما علّمها كيف تحافظ على رباطة جأشها.

ـ لا تنسي، أنا أعلم ما أفعل. بما أنك وافقت على ركوب السيارة معي، أعلمك أن قيادة الطائرة ليست أصعب بالنسبة لي، وسلامتي الشخصية هي بأهمية سلامتك عندي.

ابتلعت ڤيڤيان ريقها ثم أومأت، فأكمل قائلاً:

- كما أنك هنا لتستمتعي بوقتك. وهو يوم جميل للتحليق فوق خليج «موربتون».

وكان على حقّ، إذ أشار إلى جزر «سانت هيلينا» و«موربتون» و «بيل» ثم حلقا فوق الساحل، ومرا فوق «سيرفرز بارادايس».

وبدأت تسترخي، شيئاً فشيئاً، لكنها لم تفلح كلياً.. وشكت في أن تتمكن من ذلك يوماً ما... لكن الرحلة كانت هادئة، لم تشعر خلالها بالتوتر الذي يدفعها عادة إلى التشبث كلما مالت الطائرة. كما أنه أضفى على الرحلة طابعاً مميزاً، حين أخذ يشير إلى المدن والأنهار على طول الساحل. وبعد ساعات، أعلمها أنهما على وشك أن يحطا على المدرج الخاص لمزرعة «هارفست مون» فبدا عليها التوتر وراح العرق يتصبب منها، ولم تعد قادرة على التركيز على المناظر الطبيعية. ولمست الطائرة الأرض بخفة ونعومة، واستدار بها ليقف على المدرج. عندئذ شعرت بتراخٍ في عضلاتها، ولم تقوَ على الحركة مما جعله يساعدها على نزول السلم.

لا بد أنه أدرك ما أصابها، إذ قال لها برقة دون أن يترك يدها: «أنت شجاعة جداً، يا ڤيڤيان».

تملكها شعور بالسرور سرعان ما تبعه شعور آخر عرفته من قبل.

- آسفة، يا ليتون، لكنني على وشك التقيؤ.

فوضع ذراعه حولها، وقال:

- لا، يا ڤيڤيان، لن تتقيئي، تنفسي بعمق.

- لا يمكنك التحكّم بذلك، يا ليتون..

فرد بصوت هادئ، واثق:

- بل أستطيع، إفعلي فقط ما أقوله لك. خذي نفساً عميقاً، ولا تنسي أنك على الأرض، والهواء نقي منعش. أنت لست وحيدة وأنا معجب بك للغاية. خذي نفساً عميقاً مرة أخرى.

خففت عنها طريقته في الكلام الهادئة الواثقة، بشكل لا يوصف، كما أن وجود ذراعه حول خصرها بعث فيها شعوراً بالأمان.. فأخذت تتنفس بعمق.

إلى أن مرت الأزمة بسلام، فقالت متعجبة:

- لا أدري كيف فعلت هذا.

وخفق قلبها، حين ابتسم لها وقال:

- إنه قيء ناتج عن ردة فعل عصبية وليس عن مرض.

- لا بد أن الأمر كذلك، فأنا أشعر بالغثيان عندما أتوتر أو أصاب بالدوار في المواقف الصعبة.

فتمتم بقول:

- أنت تعانين من مشكلة ما، يا ڤيڤيان، أليس كذلك؟ أعلم أنك لم تصابي بالدوار معي. ولكن هل سببت لك الغثيان قط؟ في ما عدا حين أصريت عليك لتركبي الطائرة معي؟

فأجابت ببطء:

- حسناً، لا. وهذا غريب، لأنك... لأنك تثير فيّ أحياناً ردة فعل لم أعهدها من قبل.

رفع حاجبه ساخراً، وسألها: «مثل ماذا؟»

عبست، وتمنّت لو تنشقّ الأرض وتبتلعها لتتوارى عن أنظاره، ولكن هذا جزء من المشكلة. إنها جاذبية ليتون ديكستر البالغة. فكيف شعرت مثلاً بالأمان والحماية حين أسندها بذراعه، وأنقذها من ردة فعل تخجلها، فيما يتملكها الآن شعور مختلف؟

أحست بقربه منها وبالجاذبية التي تتطاير من عينيه، وتنبعث من تسريحة شعره، وملامحه التي تتغير ما بين الهزل حيناً، وبين القوة والثقة حيناً آخر. فقد كان وسيماً، قوي البنية وهذا ما يجعلها تشعر بأنوثتها. وأحست بأنها تتخبط في بحر لا تعرف قراره، مما أخافها وأربكها. إن مشكلتها معه هو إحساسها البالغ به وشعورها بقوة بنظراته التي تجول على وجهها وعلى قدها الرشيق وإحساسها بالسعادة لأنها ترى أنها تجذبه.. هذا الرجل يحرّك فيها مشاعر لم تعرفها من قبل، مشاعر لم يسبق أن جعلها تشعر بها أي رجل وهذا ما يخيفها..

أدركت أنه تكهّن بما يجول في ذهنها، أو لعله فهم ردة فعلها حين انتابتها تلك الرجفة المفاجئة. . . علمت أنه سيعانقها ولن تكون قادرة على منعه. . وأنها أجابت على سؤاله، بلغة أبلغ من الكلام.

وبعد دقائق، كانت تقف مرتجفة بين ذراعيه تريح جبينها على كتفه وهي تتنفس بعمق بينما هو يمرر أصابعه في شعرها ويضمها إليه. ولكن ما أن أحست بأنها، من الشجاعة، بحيث يمكنها أن ترفع عينيها إليه دون إن تكشف عن مشاعرها حتى سمعت صوتاً يقول:

ـ المعذرة.

فوجئت بالصوت الغريب ينبعث من وراء كتف ليتون، فأجفلت وكادت تقفز لو لم يشتد ضغط ذراعي ليتون عليها. ولم يطلق سراحها على الفور، بل احتفظ بيدها في يده، واستدار ليرى من ذا الذي وصل.

كان شاباً طويل القامة، رمادي العينين. وقد ربط شعره الأسود إلى الخلف، ووضع في أذنه قرطاً فضياً. اتكأ الدخيل إلى صندوق سيارة «لاند روفر» وراح يتأملهما. نظرت حولها بارتباك وقد احمر وجهها لأنه وصل بالسيارة دون أن تنتبه إليه.

استقام بوقفته، ثم انحنى أمامها، قائلاً:

ـ عذراً، يا سيدتي. لكني منتدب لاصطحابكما، أنت وليتون، بعد أن أتصل بالمنزل.

فردّ ليتون ببطء من دون أن يفلت ڤيڤيان: «شكراً يا رالف. أقدم لك خطيبتي ڤيڤيان فلوري».

فهتف رالف بارتباك: «ماذا؟»

عندها تمتم ليتون:

ـ لقد سمعتني. هذا أخي رالف، يا ڤيڤيان. لقد حدّثتك عنه قليلاً.

ـ نعم، نعم.

كان هذا جلّ ما استطاعت قوله، إذ تدفقت الأفكار المختلفة إلى ذهنها. فعندما وصفت لليتون (حبيبها اللاتيني)، كما سمّته، وصفت رالف ديكستر.

www.elromancia.com

وعندما عرّفه ليتون عليها صعق لدرجة أخرسته؟ ترى ألم يخبر ليتون أحداً بأنه سيحضر رفيقة معه؟ إذ يبدو جلياً أنه لم يأتِ على ذكر خطيبته. . وكيف جرفتها مشاعرها بحيث لم تسمع رالف حين وصل؟ ويبقى السؤال الأهم، ألم يسمعه ليتون مثلها؟ أم أنه استغل الفرصة؟

قطع ليتون سيل أفكارها ليقول: «ساعدنا يا أخي»

فاستفاق رالف من حيرته، وقال:

ـ حسناً. ولكن أولاً، أهلاً بك ڤيڤيان! لقد أعجبني ذلك. يعجبني منك كل شيء، في الواقع!

ومد يده بابتسامة صبيانية عريضة، مضيفاً:

ـ أهلاً ومرحباً بك في بيتنا! سيكون. . . أسبوعاً رائعاً.

صافحته ڤيڤيان وهي تبتسم بوهن:

ـ شكراً. . هذا. . هذا يبدو جميلاً.

ونظرت حولها للمرة الأولى، ولكنها لم تر ما يلفت نظرها، بل مدرج من الأسمنت وحظيرة صغيرة للطائرات ودغل يحيط بها. غمزها رالف وهو يلاحظ استغرابها، ثم قال:

ـ أفهمك جيداً، نحن بعيدون عن البيت ميلاً كاملاً لكن الأمور ستتحسن.

وتدخّل ليتون قائلاً بشيء من الجفاء:

ـ أظن أن الغداء جاهز وبانتظارنا.

حمل رالف حقيبتها، وعلق: «إن التأخر عن وجبة الطعام خطيئة كبرى، يا ڤيڤيان. اصعدي إلى السيارة وسأساعد أنا ليتون في نقل بقية الأمتعة».

لكن ليتون احتل مقعد القيادة إلى جانب ڤيڤيان بينما جلس رالف حزيناً في المقعد الخلفي، وسأله ليتون:

ـ من في المنزل؟

ـ «ماغ» و «إدي» واللايدي «واين رايت. .»

وسكت ثم ابتسم ابتسامة عريضة عندما أخذ ليتون يطلق الشتائم

والسباب. تابع بعدها يقول: «اثنتان من وصيفات العروس، إبنة عمنا ماري مع أولادها، ثم.. ڤيرجينيا».

ساد صمت قصير غريب قال ليتون بعده بشكل عفوي:

ـ آه، حسناً، سيكون العدد كافياً لنلعب بعد الغداء، إلا إذا... هل تلعبين الغولف، يا ڤيڤيان؟

ـ لا، أجيد التنس والكروكت فقط...

فتأوه كل من ليتون ورالف، بينما تابعت تقول: «لا ألعب الغولف، لكني أجيد السباحة وركوب الخيل».

فقال رالف لأخيه وهو يمد رأسه بينهما من المقعد الخلفي:

ـ ألا تعرف إن كانت تلعب الغولف أم لا؟ إنكما غريبان حقاً.

فاضطربت ڤيڤيان، بينما ردّ ليتون بهدوء:

ـ من الغريب أن هذا لم يخطر على بالي.

فضحك رالف، ثم تظاهر بالجدية وهو يسأله:

ـ متى تعرفتما إلى بعضكما البعض؟

ـ من مدة كافية، هذا هو المنزل، يا ڤيڤيان، إنه من عصر فيلم «ذهب مع الريح».

كان المنزل جميلاً، برأي ڤيڤيان، ويقوم على هضبة. كما تمتد أمامه مروج خضراء تنحدر نحو النهر حيث رصيف ترسو قربه القوارب. يتألف المنزل من طابقين، وقد طليت جدرانه باللون الأصفر الفاتح بينما دهنت النوافذ بالأبيض. يتميز المنزل بشرفة تلتف حوله.

ولاحظت ڤيڤيان، عندما توقفت السيارة، مجموعة من الأشخاص، يجلسون إلى مائدة كبيرة على الشرفة، يتناولون الغداء. أغمضت عينيها للحظة، وتمنت لو كانت على بعد آلاف الأميال ثم قالت بعفوية:

ـ ألا تظن أنه من الأفضل ألا نخبرهم بالأمر على الفور؟

فقال رالف على الفور:

ـ فكرة جيدة جداً. فهذا الخبر سيحدث خضّة بين الحضور.

فرد ليتون ببطء:

ـ شكراً على نصيحتك، يا رالف، لكنني سأتصرف.

ورمق أخاه شزراً ثم التفت إلى ڤيڤيان مضيفاً: «هذا أمر تافه مقارنة مع الإنجاز الذي حققته اليوم». وللحظة، وفيما كانت عيناه الزرقاوان تنظران إليها، وقد ارتسم فيهما المرح والدفء معاً، راح قلبها يخفق بسرعة وغرابة وهي تتساءل محتارة عما إذا كان الأمر جدياً وحقيقياً... وعما إذا كانت مخطوبة بالفعل لليتون ديكستر. وبللت شفتيها بلسانها، قائلة:

ـ أنا.. أنا لست واثقة من ذلك.

وقال وهو يخرج من السيارة: «ثقي بي».

* * *

كانت الدقائق العشر التالية مربكة للغاية، إذ بدا أن ليتون لم يخبر أحداً بأنه سيحضر معه رفيقة، ناهيك عن خطيبة... ولا يعني ذلك أنه كشف عن الأمر، ساورها شعور بأنه أخذ بنصيحة رالف. وساد جوّ منع أي مناقشة، بالرغم من الدهشة التي أصابت الجميع.

ولم يأت أحدهم على ذكر الموضوع، حتى أمه. علماً أنها علّقت قائلة: «ما هذا، يا ليتون؟ كان عليك أن تخبرني بأنك ستحضر معك صديقة! عفواً يا عزيزي»، ثم تابعت تقول لڤيڤيان: «هذا لا يعني أننا لا نرحب بك، ولكن عليّ أن أجهز لك غرفة، إلا إذا كنت لا تنوين البقاء».

كانت أميليا ديكستر امرأة ملفتة، بطولها الفارع ونحافتها، وتسريحة شعرها الأصهب القصير. كما تميّزت بأناقتها البالغة، إذ ارتدت بنطلوناً ضيقاً من الجينز وقميصاً ناصع البياض وتزيّنت بمجوهرات مختلفة من سلاسل ذهبية وخواتم ماسية.

أما ڤيڤيان، التي توقعت امرأة مختلفة كلياً، فأرغمت نفسها على عدم إبداء الدهشة، وقالت:

ـ آه.. كنت أنوي البقاء، يا سيدة ديكستر، لكني لم أتوقع ألا تكوني على علم بحضوري.

www.elromancia.com

فردت الأم باستسلام: «إن تصرفات ليتون استقلالية، مع الأسف. على أيّ حال، نحن نرحّب بك، بما تدعوك؟».

ـ ڤيڤيان.

سبق ليتون ڤيڤيان إلى الرد، وقال: «ڤيڤيان فلوري». ثم أخذ يعرّفها على الجالسين حول المائدة كل بدوره، ثم أضاف: «بالمناسبة، نكاد نموت جوعاً وعطشاً». وجذب أحد الكرسيين الخاليين لتجلس ڤيڤيان ثم جلس على الآخر.

بعدها، استأنفوا تناول الغداء، بينما راحت ڤيڤيان تسجّل انطباعاتها حول الموجودين. اللايدي واين رايت أقرب وأعز أصدقاء أميليا، كانت تتحدث بغطرسة ولا تخفي ذكاءها الحاد. أما مرغريت، عروس المستقبل، فكانت امرأة فاتنة، وبدا جلياً أنها مولعة بأخيها. كانت على وشك الزواج من رجل هادئ متواضع يناديه الجميع باسم «إدي». وبدت إبنة عم ليتون، ماري متعبة للغاية. كما عرفها ليتون على وصيفتي العروس وبقي شخص واحد هو ڤيرجينيا ديكون، وقد عرفوها بها، من دون أن يفسّر لها أحدهم ما هي صلتها بالأسرة أو العرس. وأدركت ڤيڤيان تدريجياً أن الكل مهتم بڤرجينيا هذه التي تبلغ قرابة الثلاثين من عمرها، وهي امرأة ذات جمال ملفت... وبينما كان شعر مرغريت قاتماً كشعر أخيها، بدت هذه الفتاة الشقراء باهتة بعينيها الزرقاوين الباردتين وبشرتها الرقيقة.

وتساءلت ڤيڤيان عما إذا كانت مريضة، إذ بدت شاحبة، هادئة، ومتحفظة في إبداء مشاعرها.

بادرت اللايدي «واين رايت» إلى وضع حدٍ لهذا الغموض، عندما أزيلت الأطباق الفارغة وقدّمت الحلوى. فرفعت كأس شرابها وقالت:

ـ لندع التحفظ جانباً. هل أستنتج إذن، أن علاقتك مع فرجينيا أصبحت من الماضي، وأن مستقبلك مع ڤيڤيان، يا ليتون؟ أم هذه المصادفة؟

ـ مارلين!

حدّقت أميليا في صديقتها الحميمة غاضبة بينما ساد صمت مطبق. فهزت مارلين كتفيها، وقالت:

ـ أنا عرّابته.

فرد ليتون بهدوء مخاطباً ڤيرجينيا ديكون: «أصبحنا في ذمة التاريخ منذ وقت طويل، أليس كذلك يا جيني؟ لا تدعيهم يزعجونك أو يؤذونك».

التفتت ڤيڤيان مدهوشة إلى الفتاة الأخرى، وأدركت أنها عاجزة عن إخفاء صدمتها.

عندها، قالت ڤيرجينيا ديكون:

ـ إذا كانت ذاكرتي جيدة، يا ليتون، فأنا التي طلبت منك الرحيل.

ثم رفعت نحوه عينيها الزرقاوين الباهتين والرائعتي الجمال، وأضافت: «لا تقلق، فلن أدعهم يفعلون، هل... عليّ أن أقدم التهاني؟»

ـ لم يصبح الأمر رسمياً بعد.

فما كان من إميليا إلا أن هتفت بدهشة بالغة: «ماذا؟»

فتمتم رالف من دون أن يوجّه كلامه إلى شخص معيّن: «لقد أخبرتكم».

* * *

ـ كان عليك أن تخبرني!

كانا قد أنهيا طعام الغداء، فتوجها، هي وليتون، نحو رصيف الميناء تحت أشعة الشمس الدافئة يمشيان على العشب الأخضر. وراحا يتأملان منظر النهر الرائع، وكانت إميليا قد تطوعت، بعد الغداء، لترافق ڤيڤيان إلى غرفتها، لكن ليتون اقترح أن يتمشيا أولاً.

وحين لم يردّ على ڤيڤيان، وقفت واستدارت تواجهه بحزم:

ـ كان عليك أن تخبرني بأنك تريد تجنّب امرأة معيّنة، يا ليتون ديكستر، كما كان عليك أن تخبرهم بأني سأرافقك! أم تراك تستمتع بإحراج الناس وإذلالهم؟

فأجاب برقة:

ـ هذا أمر يخصنا ولا يعني سوانا، يا ڤيڤيان.

ثم أمسك بيدها وتابع السير فلم تجد بداً من اللحاق به. ولكن ذلك لم يمنعها من التعليق باستياء:

ـ هراء! إنها أسرتك. وستكون هذه مناسبة خاصة. لكنك أشعت

الاضطراب، كما وضعتني في. . . موقف حرج، كنت قد بدأت. . . أميل إليك، ولكني الآن. . .

وهزت رأسها من دون أن تضيف أي كلمة أخرى.

ووصلا إلى رصيف الميناء، فتمتم يقول: «لقد لاحظت ذلك».

فعبست وقالت: «ماذا؟»

نظر إليها والشرر يتطاير من عينيه، ثم سألها: «وكيف بدأت تميلين إليّ؟».

توقفت فجأة، وتسمّرت في مكانها:

ـ كان ذلك. . كان ذلك مختلفاً.

ـ آه، وكيف؟

فهزت كتفيها بعجز، وردّت: «كان ذلك مرتبطاً بنجاتي من الرحلة الجوية دون أن أذل نفسي».

ـ أتعنين أنه كان احتفالاً بشجاعتك؟

فهزت رأسها متأملة واعترفت: «حسناً. . هذا صحيح»!

ـ أتعنين أني لو كنت. . قصيراً، سميناً، أصلع، أو عجوزاً لعانقتني بالطريقة نفسها؟

سحبت يدها من يده، وتراجعت حتى الحاجز الخشبي للرصيف. رأت زورقاً بخارياً يرسو هناك، وآخر أصغر منه في الناحية المقابلة. كما لاحظت طوفاً مربوطاً في الحاجز، وهتف ينبهها:

ـ حذار يا ڤيڤيان.

ثم أضاف قائلاً: «ألن تجيبي على سؤالي. . . أم أنك لا تستطيعين؟»

فالتفتت إليه وقالت بإحباط: «هذا لن يغير شيئاً، يا لبتون!».

وأشارت بيدها نحو المنزل قبل أن تكمل: «ذلك. . .».

فقاطعها، ليقول:

ـ تمهلي، سنناقش الأمور تباعاً. لماذا عانقتني بتلك الطريقة؟ بدوت وكأنك تكتشفين جوانب خفية من أمر ما. هل عليك أن تتأرجحي على الحاجز

الخشبي بهذا الشكل؟

فردت بحدة:

ـ أنا بخير، أنا أحب الوقوف هنا ولا أخاف ذلك. فأنا أتمتع بحسن التوازن.

فأجاب بنفس اللهجة:

ـ كيف نسيت إذن ما حدث لك حين نزلنا من الطائرة؟ ألم تفقدي توازنك؟

مالت برأسها جانباً ونظرت إليه بصبر لا تشعر به، ثم قالت وكأنها تحدث طفلاً صغيراً:

ـ حسناً، إذا أردتني حقاً أن أتكلم، فاعلم أني لا أحب العناق عادة. في الواقع، تعلمت كيف أتجنب ذلك كما أتجنب الوباء! حتى مع من أحببتهم أكثر منك بكثير، يا سيد ديكستر، فلماذا نناقش هذا؟ إنه. . .

ـ ڤيڤيان. .

ـ لا يا لبتون، أنت من أثار الموضوع، ويجب أن نطرحه للمناقشة. كنت أرتجف في داخلي، إنما كنت أشعر ببهجة بالغة. نعم، أنت السبب في نجاحي. أما العناق. . يبدو أنك خبير، لكن حماستي فترت الآن. صدقني.

فسألها بفروغ صبر وفظاظة:

ـ وما معنى ذلك بحق الجحيم؟

حملقت ڤيڤيان فيه وأجابت:

ـ كيف يمكنك أن تسأل وحبيبتك السابقة تجلس هناك تنتظرك، في حين اصطحبتني معك بصفتي حبيبة المستقبل، ولم أقل الخطيبة؟ سامحني، ولكن هذه (الاتفاقية الشريفة السوية) لم تعد تحظى بموافقتي المطلقة. . .

ـ إنها ليست حبيبة سابقة، يا ڤيڤيان. إنها زوجتي السابقة.

أصاب ڤيڤيان الذهول، فتراجعت خطوة إلى الوراء دون وعي، وسقطت في النهر.

* * *

www.elromancia.com

٣ - جرفها التيار!

غطس ليتون خلفها بعد أن جعلتها الصدمة تتخبط عاجزة. ولكن عندما أمسك بها لينقذها، أخذت تغمغم باحتجاج:

- لا بأس، بمكنني أن أسبح.

- اهدئي، أيتها المعتوهة، التيار هنا سريع جداً، اخرسي فقط وافعلي ما أقوله لك.

وعندما تمكن من سحبها إلى الضفة، تجمّع، لسوء حظها، حشد من الناس ليتفرجوا، كما قفز رالف إلى لوحة التزلج على الماء واندفع نحوهما.

امتدت أيدٍ كثيرة تساعدهما على الصعود إلى الضفة حيث استلقيا على العشب مرهقين متوتري الأعصاب. وتعالت أصوات قلقة، ولكن بتحفظ، كما يفعل الناس حين يحاولون جهدهم كي لا يضحكوا.

ولكن أسوأ ما حصل لها، كان حين انتصب ليتون جالساً والغضب يتملكه، ثم قال بعنف:

- أنت كارثة متنقلة، يا ڤيڤيان فلوري! كيف يمكن لفتاة في الخامسة والعشرين من عمرها أن تورّط نفسها في هذه المتاعب كلها؟

ساد الصمت المطبق مجدداً، ثم جلست ڤيڤيان، وسعلت، وأزاحت شعرها عن عينيها، ثم راحت تتأمل ثيابها المبتلة الموحلة والممزقة وحذاءها الإيطالي الأنيق الذي استحال خرقة مخدشة بسبب المياه. وقالت: «أنت المشكلة، يا ليتون ديكستر. فأنت تهتم بالأشياء التافهة وتفتقر إلى روح النكتة فاذهب إلى الجحيم!» ثم وضعت رأسها بين يديها وأخذت تضحك وتضحك حتى أوشكت

على البكاء.

* * *

وفي الساعة السابعة من ذلك المساء سمعت قرعاً على باب غرفتها. كانت غرفة النوم التي خصصت لها قد طليت باللون الليلكي وهي تطلّ على النهر. غرفة فسيحة، لها حمامها الخاص، وباب يفتح على الشرفة العلوية. كما كان جوّها يعبق بشذا الياسمين.

اغتسلت مرتين بعد الحادثة، ثم نامت نوماً عميقاً لساعتين. وكانت إميليا ديكستر قد سارعت إلى نجدتها وأخذت تخفف عنها. بعد تلك المهزلة على ضفة النهر، فصلت بينها وبين ليتون، لا بل أخذت ڤيڤيان تحت جناحها وجعلتها تشعر بأنها ضحية حادث مشؤوم وليست (معتوهة) كما نعتها ليتون.

أحضرت لها ثوب حمام ورافقتها إلى غرفتها حيث رتبت حقيبتها وبقية أمتعتها. ثم طلبت منها، باهتمام صادق، أن ترتاح.

ورغم أنها لم تكن تلبس سوى عباءة خفيفة فوق ملابسها الداخلية، وقد لفت شعرها بمنشفة، توجهت نحو الباب تفتحه، بعد أن ظنت أن القارع ليس سوى إميليا.

لكنها أخطأت في ظنها، إذ رأت ليتون يقف في الباب، وهو يرتدي بنطلوناً من الجينز وقميصاً رمادياً وسترة رياضية رمادية اللون. كان يحمل في يديه كأسين.

فقالت بفتور: «آه، هذا أنت». ثم أخذت نفساً عميقاً وبدأت تردد كلاماً كانت قد أعدته من قبل: «إسمع، أنا آسفة جداً لما فعلت! كانت حماقة بالغة مني. كما إنني أسأت التصرف فلم أشكرك حين أنقذت حياتي. . .».

فقاطعها فجأة:

- انسي الأمر، يا ڤيڤيان. هل يمكنني الدخول؟ لقد أحضرت كأسين من العصير لكلينا.

تفرست فيه للحظة لكنها عجزت عن فك رموز أساريره. فتراجعت مكرهة كي يمرّ، ثم أغلقت الباب خلفه.

كان في زاوية الغرفة كرسيان حول طاولة صغيرة مستديرة، فوضع الشراب عليها. عندها، قالت له وهي تنظر إلى الكأسين:

ـ هل هذه آخر أمنية لي قبل أن تصحبني إلى الخارج وترميني بالرصاص؟

مضت لحظات لم ينبس خلالها ببنت شفة، وقد بدا عليه الجمود وراحت نظراته تجول على وجهها، وتتأمل جسمها.. فشعرت بتوتر غريب وكأنه تحذير من خطر داهم، خطر سبق وعرفته في علاقتها مع ليتون ديكستر. إنه انجذاب غريب يشدها نحوه، بالرغم من العدائية التي تميزت بها علاقتهما.

تعلم أنها قد تغضب منه... وهذا ما تشعر به الآن.. لكن شعورها بالغضب لم يبدل المعايير الأخرى التي ربطت بينهما: فانجذابها نحوه كسر حاجز الجليد الذي بنته لحماية نفسها، لا سيما بعد أن اختبرت الشعور الذي انتابها حين ضمها بين ذراعيه وعانقها.

أثارت نظراته المتفحصة أحاسيسها فارتجفت، وقد فاجأتها ردة فعلها هذه التي لم يثرها فيها أحد سواه. كانت هذه المشاعر موجهة نحو الرجل الذي أعطاها الثقة بالنفس وعاملها كمثيل له. ذاك الرجل الذي بدا لها قادراً، لا يخاف، وبطلاً جذاباً للغاية.

وهو ما زال بطلاً بنظرها بشعره الأشقر الداكن، وخطوط وجهه وكتفيه العريضتين وجسمه القوي، لكن مزاجه المتقلب أخافها. وأخيراً سألها: «ماذا تعنين؟».

ـ أنا... حسناً، أظننا وصلنا إلى مفترق طرق.

وسكتت ثم لطفت من حدة صوتها وأضافت: «لا أعني أني ألومك، ولكن يبدو أننا لا نستطيع الاستمرار أكثر... وبعد ما حدث لا ألومك إن ألغيت اتفاقية «عصير كلوفر...».

فرد بجفاء:

ـ هذا نبل منك، يا ڤيڤيان. لكن لم يكن هذا في نيتي.

ـ أنا... أنت... أنت طلبت مني أن أنسى الأمر عندما أخذت أعتذر.

فقال، وقد ارتسم على شفتيه طيف ابتسامة:

ـ كم مرة راجعت هذا الحديث الرسمي القصير؟

أجفلت بشكل ملحوظ، ثم قررت أن تتابع كلامها بشجاعة:

ـ على أي حال، أفترض أني سأغادر مزرعة «هارڤست مون» جواً مع بزوغ الفجر.. علماً أنه بإمكانك أن توصلني إلى أقرب محطة، لأعود بنفسي إلى بيتي. وأنا أفضل ذلك، في الواقع.

ـ بعد الشجاعة البالغة التي أظهرتها في الطائرة؟

هزت كتفيها وجلست. فجلس قبالتها، ثم قال بسخرية:

ـ فضلاً عن أنك نلت إعجاب معظم الموجودين هنا.

ففغرت ڤيڤيان فمها مذهولة، ووضعت كأسها على المنضدة دون أن تتذوقه ثم نزعت المنشفة عن شعرها ودسّت أصابعها فيه.

بعد ذلك، سألته بحذر: «لأنني...؟».

فاستقرت عيناه على خصلات شعرها المبتلة، وقال:

ـ لأنك قلت لي أن أذهب إلى الجحيم، نعم. ولشعورهم بالذنب أيضاً.

ـ ولماذا يشعرون بالذنب؟

ـ ڤيڤيان، أنا و«جيني» تطلقنا منذ أكثر من ثلاث سنوات. ولأنه ما كان ينبغي أن تكون موجودة. كما لم أكن أعلم أنها ستكون هنا. لقد حاكت المؤامرة أمي وأختي ومارلين ولا أدري لم عليّ أن أمتثل لرغبة عرابتي التي تشبه الساحرات. لكنهن تآمرن كي يلموا شملنا.

فقالت ڤيڤيان ببطء: «ومع ذلك، لو لم ترد فرجينيا ذلك، لما تجاوبت معهن».

ـ يستحيل أن نعود كما كنا. لقد انتهى كل شيء بيننا.

ـ لا تطلق حكماً مبرماً، يا ليتون. أعني، هل لكبريائك دور في الأمر، مثلاً؟ لا سيما وأنها هي التي طلبت الطلاق.

أطلق شتيمة، ثم قال بضجر:

ـ أرجوك، يا ڤيڤيان. ليس لديك أدنى فكرة...

وسكت ثم استند إلى ظهر كرسيه.

أحكمت لف عباءتها حول ركبتيها، قائلة:

ـ أنت على حق طبعاً. ولا أرى كيف يمكنني أن أقدم نصيحة حول أمر لا أعرف عنه سوى القليل...

ـ هذا كرم بالغ منك.

فرمقته بنظرة غاضبة، وقالت:

ـ حسناً، نعم، لكنني ما زلت أتساءل عما... حتى وإن كنت تجهل أنّ زوجتك السابقة ستكون هنا... إذا كنت قد رشوتني لمرافقتك بهدف حمايتك من أسرتك... الغاضبة على ما يبدو... وليس للتخلص من النساء اللواتي يلاحقنك كما قلت لي، وهذا أمر مختلف!

ـ أنتِ على حق، كنت واثقاً من أنهن يدبّرن شيئاً ما في الخفاء. لكنني قلّلت من شأنهن.

وضعت ڤيڤيان كأسها على الطاولة بشيء من الحدة، وتمكّنت بعد جهد من كبح الكلمات التي أوشكت على التفوه بها، فرفع حاجبه: «لكنني لم أخفِ عنك الأسباب الأخرى التي جعلتني أطلب منك أن تمثلي دور خطيبتي».

فنظرت إليه متأملة، بينما تابع يقول بلطف، إنما بلهجة لاذعة: «أنت التي قررت تجاهل انجذاب أحدنا إلى الآخر. وأنتِ، وفي هذه اللحظة بالذات، منزعجة من فكرة وجودك هنا لحمايتي وحسب».

فتساءلت بعصبية إن كان على حق بالفعل؟ وتململت تحت وقع نظراته ثم انتصبت واقفة وسارت نحو النافذة.

ـ إذا كنت تظن أن هذا يشكل عذراً لك يا ليتون، فهل لي أن أدلي بملاحظة؟ عندما تنظر إليّ وكأنني سأكون إحدى النسوة في حريمك، تثور ثائرتي، وتظهر طباعي السيئة.

فسألها ببراءة: «متى فعلت ذلك؟».

استدارت نحوه وأجابته بحدة: «أنت تفعل ذلك باستمرار».

ـ لم يكن لدي يوماً حريم ولا أنوي إنشاء واحد. لكنني لن أنكر أنك تجذبينني وتثيرين اهتمامي. فهل ستنكرين هذا أنتِ؟

حوّلت ڤيڤيان نظراتها عنه، وحاولت أن ترغم نفسها على الاسترخاء. لكن التوتر تملك كيانها عندما أخذت تتصارع مع الصدق والكبرياء، وهي تشعر بالحذر البالغ، بينما تابع يقول:

ـ لو لم يحدث ذلك، لكان أمراً غير طبيعي. ناهيك عن تجاوبك مع عناقي.

حاولت أن تتكلم فلم تستطع. وشدّت على يديها لتخفي انفعالها.

انتظر للحظات ردها وهو يراقبها بحذر، ثم قال بعدها: «لماذا يصعب عليك الاعتراف بذلك، يا ڤيڤيان؟».

فأجابت بعنف: «لأنني لا أريد ذلك».

ـ لقد أيقظ كل منا أحاسيس الآخر.

سكت وقد لاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة:

ـ شخصياً، لا أظن أن اعترافك بمشاعرك احتفالاً بشجاعتك وحسب، إنما احتفالاً بقلبك وروحك أيضاً، احتفالاً بالحياة.

أغمضت ڤيڤيان عينيها للحظة، وهي تفكر في أنها لن تتمكن، بعد اليوم، من الاستلقاء في سريرها، من دون أن تفكر فيه... صرفت بأسنانها وحوّلت أفكارها وهي تعترف بأنها قللت من شأن ليتون ديكستر، كما أنها غالت في تقدير رباطة جأشها. ونهض واقفاً، وهو يقول:

ـ وهكذا، لا أدري يا ڤيڤيان إن كان علينا ألا نتابع ما بدأناه، أليس كذلك؟

فصلتها عنه مسافة قصيرة، وأحست بضرورة الابتعاد عن هذا الرجل بشكل ما، وعن تأثيره عليها.

لم يكن الأمر يتعلق بجاذبية هذا الرجل المدمرة. إنما بالتفاصيل الصغيرة التي يتميّز بها كالتواء حاجبه عندما يمزح، وساعة معصمه التي تعكس رجوليته، ويديه الطويلتين القويتين، اللتين خلفتا الرضوض في جسمها حين أنقذها من الغرق في النهر. ومع ذلك، اتسم عناقه بالرقة المتناهية واللطف.

شعرت بالدم يتصاعد إلى وجهها، فمدت يديها تحكم لف العباءة حول جسمها. تابع هو حركتها العفوية بعينيه اللتين ضاقتا حين استقرتا عند أعلى

ذراعها وسألها مقطباً جبينه:

ـ هل أنا من تسبب بذلك؟

ـ ماذا؟

فتقدم منها ولمس بأنامله رضة على ذراعها، وقال: «هذه الرضة؟».

فتأملت ذراعها، وقالت:

ـ آه، نعم، وهناك غيرها. لكنني أفضل هذه الرضوض على أن أكون جثة طافية على وجه الماء.

وضحكت.

ـ وإن يكن، أنا آسف فعلاً.

ـ لا بأس.

فقال بهدوء: «بشرتك كالحرير، يا ڤيڤيان، وقوامك جميل، كما أن عناقك لا مثيل له».

كيف؟ ولم تنطق بهذا السؤال، بل تركت عينيها تنطقان به. لكنها لم تجد جواباً، وسمعته يقول برزانة فائقة: «أتساءل دائماً عما إذا ترك فيك رجل ما، رضوضاً نفسية».

ابتلعت ريقها ثم قالت بخشونة:

ـ هل لأنني لم أرتمِ بين ذراعيك، يا ليتون؟

ـ بل لأنك ارتميت بينهما عندما لم تتمكني من ضبط نفسك، ولكنك لم تعترفي بذلك.

وعجزت عن الرد. بدا وكأنهما في دوامة تحمل ذكريات الرحلة في الطائرة، وكأن لنظراته المقدرة على إعادتها إلى الماضي. شعرت وكأنه يسيطر على عقلها وأحاسيسها، ويسيّرها كما يشاء. لكنه، في الواقع، لم ينطق بكلمة واحدة، ولم يحرك ساكناً. ولم يكن، بالطبع، بحاجة لذلك. فقد أدركت المشاعر التي يثيرها فيها، وعلمت أن وجوده قربها كافٍ لإرباكها، وبعث الاضطراب فيها.

قالت له بارتباك، وبلهفة: «إسمع».

ثم عضت على شفتها وتنهدت بعد أن تجلى لها المأزق الذي ورطت نفسها فيه. لو أخبرته أن شركة «غودمان وشركاه» في مأزق حرج، ولهذا وافقت على القيام بهذا العمل، ألن يمنحه هذا سبباً ليطيح بأي اعتبارات تقف في طريقهما؟ ومن ناحية أخرى، إنها بحاجة ماسة لسبب يبرر وجودها هنا... وعادت تقول: «إسمع، لم يكن في نيتي أن أقدم التنازلات وأتحمل فظاظتك لأحصل على اتفاقية «شامبو كلوڤر»، أو العصير، ولكن من أجل مصلحة الوكالة...».

فقاطعها وهو ينظر إليها ساخراً:

ـ انسي أمر الشامبو، فقد حصلت على اتفاقيته على أي حال.

فتابعت تقول بلهجة أملت أن تشل لهجة ليتون ديكستر الهادئة المنطقية: «وفضلاً عن ذلك...».

وإذا بها تدرك فجأة ما قاله، فهتفت: «ماذا؟».

فرد متمهلاً: «لقد حصلت على الاتفاقية، يا ڤيڤيان، وليس على جوليانا جونز أن تقلق إذن لن تحتاجي إلى تغيير شعرة من رأسها».

ـ أتعني أنني لن أخسرها حتى ولو رفضت الامتثال لأوامرك؟

ـ بالضبط، وسأدعك الآن ترتدين ثيابك، فالعشاء بعد نصف ساعة.

عندها سألته بذهول: «وماذا عن اتفاقية العصير؟».

ـ آه، قد تأخذ وقتاً أطول.

فقالت بمرارة:

ـ إذن عليّ أن أتابع هذه المهزلة كي أحصل عليها. ما كنت لأقبل بهذه الصفقة لو علمت بمسألة زوجتك السابقة. نعم، إن الإتفاقية مهمة «للغودمان»، لكنني قلت وأكرر، أن مجموعة من النساء تركض وراءك شيء وزوجتك السابقة شيء آخر.

فأجابها ساخراً:

ـ أنا واثق من أنها توافقك الرأي. وبالمناسبة، لقد قررت البقاء، فهي صديقة حميمة لأختي ماغ. ظننت أننا أعطينا عذراً جيداً آخر لبقائك... منذ

www.elromancia.com

دقائق فقط وكذلك هذا الصباح.

لم تجد ڤيڤيان ما تقوله، فضحك برقة، وتقدم نحوها ليلامس وجنتها التي اصطبغت بلون أحمر قانٍ، ثم أضاف:

ـ لم لا تبقين كما أنت؟ الكل يعرف هنا أننا لسنا ملائكة.

ثم خرج، وتهاوت ڤيڤيان على كرسيها لكن أفكارها الغاضبة لم تثمر سوى قرار واحد. وهو أن ليس أمامها سوى البقاء، لهذه الليلة على الأقل.

وبعد نصف ساعة، جاءت إميليا لتصحبها إلى الأسفل.

* * *

ـ جميل جداً.

علقت إميليا بهذه الكلمات على ثوب ڤيڤيان القصير المصنوع من قماش الكريب. كان الثوب من دون كمين، ياقته مفتوحة كشفت عنقها، و تفصيله ضيق أظهر قوامها الرشيق... وارتدت فوقه قميصاً شفافاً لتخفي رضوض ذراعها، كما انتعلت حذاءً بسيطاً يناسبه.

أما إميليا فقد ارتدت ثوباً واسعاً من الحرير المتعدد الألوان.

ـ كيف تشعرين الآن يا عزيزتي؟ لقد طمأنني ليتون إلى أنه سوّى الأمور.

فرفعت ڤيڤيان حاجبها بتهكم، وقالت:

ـ ما عنى به ليتون بكلمة (تسوية) هو أشبه بالحدل بمحدلة... آه آسفة، يا سيدة ديكستر. ما كان لي أن أقول هذا، فغالباً ما يزل لساني.

ـ قولي ما يريحك، يا ڤيڤيان. أرجو ألا تشعري بأنه عليك توخي الحذر معي.

فهزت ڤيڤيان كتفيها، وردت:

ـ حسناً، قد لا أتمكن من ذلك... لكنه ابنك.

ـ هذا لا يعني أنني أرضى أن ينال ليتون دائماً ما يريده! هل ننزل إلى الطابق السفلي؟ لقد حضرنا مقصفاً للعشاء الليلة.

ـ أنا جائعة جداً، سيدة ديكستر، ويمكنني أن آكل بنهم... يبدو أن للغرق علاقة بالأمر...

وابتسمت ڤيڤيان ابتسامة عريضة، فحدقت إميليا ديكستر فيها مفكرة. ثم قالت بصراحة:

ـ أنا لا أحب الطلاق، يا ڤيڤيان، وعليّ الاعتراف بذلك. لهذا عشت على أمل أن يتصالحا، وما زلت. ولو كانت الظروف مختلفة، لأحييتك على الفور، يا عزيزتي.

وتأبطت ذراع ڤيڤيان وهي تضيف: «بالمناسبة أرجو أن تناديني باسمي إميليا. قد أكون عجوزاً، ولكن عندما تناديني (سيدة ديكستر) تجعلينني أشعر بأنني أكبر سناً».

* * *

أقيم المقصف في حديقة داخلية خلف المنزل. واستبدلت المائدة الكبيرة، بموائد صغيرة مستديرة. لم تكن الأماكن محددة، إنما جلس الحاضرون كيفما اتفق. أما الطعام فكان متنوعاً وزينت الموائد بسلال من فواكه الموز والفريز والكيوي. وخصصت البوظة بالفاكهة للتحلية.

ووجدت ڤيڤيان المكان خلاّباً، فراقها ضوء الشموع وأعجبتها الطاولات والكراسي المصنوعة من الحديد المشغول. يمكن للمرء أن يدرك بسهولة أن صيانة هذه المزرعة تتطلب مبالغ طائلة. ودفعتها هذه الفكرة إلى التوقف عن الأكل والنظر إلى ليتون مطوّلاً بعد أن ظلت تتجاهله حتى جلس بقربها.

فسألها بعد حين: «أتراني ارتكبت خطأً ما؟».

ـ لا، أبداً! كنت أفكر فقط في أنك حتماً غني جداً.

فزمّ شفتيه، ونظر إلى ساعته ثم وقف، وهو يتمتم:

ـ من دون تعليق. أرجو المعذرة، أنتظر اتصالاً هاتفياً هاماً من سنغافورة ولن أتأخر.

فقالت بمرح: «تفضّل».

وعندما ابتعد ليتون، قالت مارلين:

ـ يتصور المرء أنك على علم مسبق بمدى ثرائه، يا ڤيڤيان.

كانت تجلس قبالتها ويفصل بينهما رالف. فيما ترك ليتون مكاناً شاغراً

www.elromancia.com

بين ڤيڤيان وإدي.

وبالرغم من أن ڤيڤيان استاءت لإطلاقها تعليقاً أحمق على مسامع الآخرين، إلا أنها ردت بمرح:

ـ لم أكن أنتقده، ليس كثيراً على أيّ حال.

ـ ما ظننا أنك ستتذمرين، يا عزيزتي.

تململ رالف وإدي بضيق عندما وضعت ڤيڤيان شوكتها وسكينها في الصحن وأخذت تحدّق في المرأة الأخرى. كانت مارلين واين رايت في الستين من عمرها. ولكنها، خلافاً لصديقة عمرها إميليا ديكستر، لم تكن تستعمل وسائل اصطناعية لإخفاء عمرها. بل ذكّرت ڤيڤيان بنسرٍ فضي الرأس بعينيها النفاذتين المثقلتي الأجفان.

قالت بهدوء:

ـ حسناً، فلندع التحفظ جانباً، يا لايدي «واين رايت». هل أسعى وراء الذهب والمال؟ بالطبع. وليتون المسكين يعرف هذا تماماً ولكنه عاجز عن المقاومة. ومع ذلك فأنا لا أنفك أقول لنفسي إنه رجل في الخامسة والثلاثين من عمره. ويجب أن يتعلم كيف يعتني بنفسه، ألا تظنين ذلك؟.

تنفست اللايدي واين رايت بغضب، ثم حملت صحنها وتركت المائدة مستاءة مجروحة.

فقال رالف بصوت خافت: «آه، يا إلهي».

ثم وارى وجهه خلف محرمته ليخفي ضحكة غلبته، وتابع يقول: «ڤيڤيان أين كنت غائبة معظم أيام حياتي؟» أما إدي، الذي كان يغالب الضحك أيضاً، فكاد يختنق بشرابه، وهو يقول بصوت مهتز:

ـ ناهيك عن حياتنا أنا وماغ!

لكن ڤيڤيان، التي عادت إلى عالم الواقع، أغمضت عينيها وهي تقول:

ـ ما الذي جعلني أقول هذا؟

فرد رالف: «لا تندمي، لقد آن الأوان كي تلقّن درساً».

فعلّقت ڤيڤيان: «لكنني نادمة على ذلك».

ثم التفتت إلى إدي، وهي تقول معتذرة: «يبدو أنه قدّر علي أن أزرع الفوضى في عرسك. حتى أكاد أوافق ليتون على رأيه بأني كارثة متنقلة».

وراح إدي يخفف عنها قائلاً:

ـ أنا واثق من أن ليتون لم يقصد ذلك. كان مجرد انفعال آنيّ. وستكون معجزة إن وصلنا إلى الكنيسة دون كوارث.

قالت ڤيڤيان لليتون والساعة تقارب الحادية عشرة: «أنا مرهقة».

كانا وحيدين على الشرفة، يستمتعان بهواء المساء العليل. فعلّق قائلاً: «كانت السهرة جميلة».

ـ بل كانت ممتعة. لكني مرهقة لأني اضطررت إلى لجم لساني. حاولت أن أكتشف من يحبني حقاً ومن يكرهني غير تلك التي تكرهني بالتأكيد.

ـ ومن هي تلك؟

فأجابت بكآبة: «عرّابتك اللايدي. لقد تشاجرنا عندما غادرت أنت لترد على اتصال سنغافورة».

ثم أطلعته على ما جرى بينهما، مضيفة: «لا أفهم لم تتخذ أمك، وهي الرقيقة الطيبة كما تبدو، مثل تلك الصديقة؟».

ـ كانتا في المدرسة معاً. ثم فقدت مارلين ابنها الوحيد في حادث سير عندما كان في الخامسة عشرة من عمره. ولم تتمكن من نسيانه أبداً. بعدها، فقدت زوجها، لهذا تداريها أمي دائماً.

وبعد فترة صمت قصيرة، قالت ڤيڤيان: «ها إن شعوراً بالذنب يتملكني».

كانا يجلسان على مقعد خشبي، ولم تكن تستطيع رؤية النهر، إنما تخيلت ضباباً خفيفاً يتصاعد منه. وما لبث الليل أن عبق بشذا زهور الحديقة والأشجار ورائحة المياه.

وهز ليتون كتفيه:

ـ لطالما كانت امرأة سليطة اللسان، لكن طباعها تزداد سوءاً. وتبيّن لي مما أطلعتني عليه، أنها هي من أطلقت الرصاصة الأولى.

www.elromancia.com

ـ هذا صحيح، ولكن. . . آه، يا إلهي. . أين ذهب الجميع؟ لا أريد الانفراد بك مجدداً هذا المساء.

تمطى إلى الخلف، ثم نظر إليها ساخراً:

ـ لقد خلد معظمهم إلى النوم، ليمنحونا بلباقة، الفرصة لنبقى وحيدين. أما رالف وادي فليس لديهم أي مشكلة معك، يا ڤيڤيان.

ـ ربما، لكنهما رجلان.

ـ أحدهما أخي، أما الآخر فعلى وشك الزواج من أختي.

ـ آه، أنا لا أقصد هذا! حسناً، ربما في ما يتعلق برالف، رغم أن نظرة الرجال إلى النساء تختلف باختلافهم، أليس كذلك؟

واستقامت في جلستها فجأة، لتسأله بحدة:

ـ أظنك تحذرني من التقرّب من أي منهما، أليس كذلك؟

ـ كل ما أعنيه هو أن تجاوبك مع الرجال الآخرين يمكن أن يؤثر على نظرة بعض النساء الحاضرات. . . إليك.

فقالت غير مصدقة:

ـ لكنني تعرفت إليهما لتوّي، ولم تسنح لي الفرصة لأتقرّب من أيّ منهما. . . هذه سخافة لا تتماشى مع شخصيتك، يا ليتون.

فابتسم ابتسامة خفيفة وأجاب:

ـ لقد لعبت البليار كشريكة لرالف، وقد أفهمتني أنك تجدين هذا النوع من الرجال مثيراً جداً.

ـ قلت هذا فقط كي أحرجك.

ـ أحقاً؟

ـ نعم، بالطبع. وما معنى هذا على أيّ حال؟ أتراك تتساءل الآن عما إذا كنت حقاً صائدة ثروات؟

وحدّقت فيه في ضوء مصباح الشرفة الباهت وقد بدت في عينيها الرغبة في الشجار: «لا تنسى أنني لا أريدك ولا أريد أخاك».

أمسك يدها بنظر إليها:

ـ هذا ما تقولينه، لكننا لن نناقش الأمر الآن. لا، كنت فقط أنبهك، يا ڤيڤيان. قد يكون رالف مرحاً، وطيب الصحبة، لكنه يعاني من عيب واحد. وهو أنه لا يحبني ويحاول عرقلة شؤوني دوماً، لا سيما مع النساء.

فغرت فمها مذهولة، وسألته: «آه، لا. . . هل هذا ما حدث مع جيني؟».

فأجاب ليتون بلهجة هادئة، جعلت ڤيڤيان ترتجف: «لا، وإلا لما بقي هنا. لكن وضعك مختلف».

فاستفهمت بتوتر: «لأنه شعر أن علاقتي بك غير طبيعية؟».

فقال بلطف: «أو شيء من هذا القبيل».

فتكلمت بصعوبة: «يا إلهي. . ما الذي أوقعت نفسي فيه؟».

ـ إنها أسرة. . أمر لا تعرفين عنه الكثير، كما أعتقد. يمكنها أن تكون جنة تغلي بالعواطف في الأوقات الطيبة، أو جهنماً تستعر فيها النيران، إذا ما تعقدت الأمور.

فقطبت جبينها: «وكيف عرفت أنه ليس لديّ أسرة؟».

فهز كتفيه، ورد: «من رب عملك، السيد «غودمان»».

ـ هل تحريت عني؟

ـ أبداً، لقد اتصل بي ونبهني إلى أشياء معينة.

فقالت بلطف: «هل فعل ستان ذلك؟».

وفجأة ترقرقت الدموع في عينيها، وسالت على وجنتيها. فنظر إليها ثم لف ذراعه حول كتفيها وقال: «لا تحزني».

ـ لا أستطيع التغلب على هذا الشعور، لا أدري لماذا. أعني، لا أدري لم الآن، من بين كل الأوقات. أظنني سأفتقد أبي دائماً، ولكن. . .

هزت كتفيها وأراحت رأسها على كتفه، فقال:

ـ كان يوماً حافلاً وهذا يكفي لجعل أي شخص سريع الإنفعال، فقد بدأت يومك بالطيران، وأرغمت على السباحة، ثم واجهت مجموعة من الغرباء الذين ساور بعضهم الشكوك حولك.

www.elromancia.com

- نعم، وأولهم أختك. لقد تجنبتني هي وزوجتك السابقة طوال السهرة.

فسألها بهدوء: «هل أزعجك هذا؟».

رفعت رأسها وابتسمت له:

- أعرف أنه لا ينبغي أن أنزعج. لكنهما تبدوان لطيفتين. ولهذا، نعم أزعجني، ولكن. . . لا أظن أن هذا سيؤرّق نومي.

وتثاءبت.

- يسرني أن أسمع هذا.

- المشكلة الوحيدة هي أنني لا أشعر بالقدرة على الحراك حالياً.

ضحك برقة ثم قبّل جبينها: «يمكنني أن أتحلّى بالرجولة فأحملك إلى السرير».

- ألا تظن أنها ضربية على رجولة معظم الرجال أن يضطروا إلى صعود سلالم، كسلالم بيتكم، حاملين بين ذراعيهم زوجاتهم قبل أن. . . حسناً، أتدري ماذا؟ بضع درجات أمر مختلف. . .

وسكتت ثم أخذت تضحك.

- ڤيڤيان، إن معرفتك وحدها درس نافع. وعلى أيّ حال، لن أحاول أن أثبت لك أنك مخطئة حول هذا الموضوع. لكنك تغريني لأثبت لك خطأك بالنسبة إلى العناق.

فقالت ببطء:

- لا ينبغي أن تفعل ذلك، كنت أشعر بشيء من الراحة والأمان.

وقطبت جبينها ثم أضافت:

- تبدو وكأنك شخصان في شخص واحد، الرجل الذي جعلني أصعد إلى الطائرة معه، مثلاً، و. . . عود الكبريت الذي سيحرق أصابعي.

وتحولت لهجتها إلى الجفاء فجأة عندما لفظت جملتها الأخيرة. فقال بابتسامة خفيفة:

- بما أن هذا يشكّل اعترافاً معيناً، يا ڤيڤيان، فهو. . . حسناً، أفترض أنها خطوة أولى.

إستقامت في وقفتها، ونظرت في عينيه، قائلة:

- ما من مستقبل لنا معاً، حالياً. ما من شيء حقيقي يربط بيننا، يا ليتون.

- لا؟ آه، حسناً، إنك على الأقل تحددين ذلك بكلمة (حالياً).

وابتسم بجفاء ثم أضاف: «قليل من الرحمة، وربما صدقة. . . أو شيء من هذا القبيل».

فعادت تقطب جبينها، وتقول: «أنت رجل غريب الأطوار».

- لماذا؟

- حسناً، أحياناً تبدو عادياً جداً، وأحياناً أخرى تبدو من أصحاب المال وأرباب الصناعة. إنما في هذه اللحظة تبدو. . . متواضعاً، وكأن ما بيننا ليس اتفاقية.

فرفع حاجبيه ولم يقل شيئاً.

وتابعت تقول ببطء وكأنها تحدث نفسها: «ثم، قد تكون هذه لعبة».

- أتعلمين، لم لا تنامين على هذه الفكرة، ثم تعلمينني بما استقر عليه رأيك في الصباح؟

أخذت تحدّق فيه برزانة. ثم ألقت عليه فجأة تحية المساء واختفت من الباب. وتركت ليتون ديكستر غارقاً في التفكير.

وقطع عليه رالف حبل أفكاره. إذ برز من وراء زاوية الشرفة كظل قاتم وجلس إلى جانبه على المقعد الخشبي.

- لم تتعرف إليها بالرشوة، أليس كذلك يا ليتون؟

فأجاب بجفاء: «كان عليّ أن أتوقع وجود أحدهم في الجوار، ولا سيما أنت».

- لا أدري ما الذي فاتني، فأنا هنا منذ لحظات فقط. ولكني سمعت كلمة (إتفاقية). ولكن لماذا؟

- ماذا تعني؟

- هل كان عليك أن «تستأجر» فتاة؟ أود أن أعلم نوع الإتفاقية ومحتواها. مال؟ وظيفة؟ ولا تظن أني الوحيد الذي يحاول التكهن بالأمر، يا أخي.

www.elromancia.com

ثم أضاف ساخراً: «فماغ تفكر في الموضوع نفسه، لهذا. . .».

ـ المعذرة.

فالتفت الاثنان وإذا بڤيڤيان تقف على بعد خطوات. بدا عليها الاضطراب وراحت تلهث وكأنها نزلت السلالم لتوّها، فهبّ ليتون واقفاً وسألها: «ما بك؟».

فأجابت بلهجة مأساوية:

ـ خاتمي، لم أجده. آه! أرجوك، قل لي إنني أعطيتك إياه لتحفظه معك، وإنه لم يستقر في قاع النهر.

فتح ليتون فمه ثم عاد وأطبقه. وقال بعد لحظات، بصوت يرتجف:

ـ إنه معي، ولكن إذا وعدتني بأنك لن تقعي في النهر مجدداً، سيكون آمناً في إصبعك.

ـ آه، الحمد لله.

وتنفست بارتياح ثم وضعت يدها على صدره ووقفت على رؤوس أصابعها لتطبع قبلة على خده وهي تقول: «هل يمكنني الحصول عليه الآن، يا حبيبي؟ أعدك بألا أقوم بأي عمل أحمق لأني أفتخر به جداً».

فتمتم يقول: «لم لا؟ فلنذهب ونحضره».

* * *

رافقها إلى مكتب في الطابق الأرضي. وبعد أن أغلق النوافذ بإحكام، وأسدل الستائر، فتح خزنة خلف لوحة كبيرة.

ثم قال بلهجة آسفة: «أفهم من هذا أنك سمعت الحديث؟».

فقالت بغضب: «نعم، سمعت. وإذا ظن أحدهم أني سأبقى هنا كفتاة مستأجرة، فهو مخطىء».

أخرج ليتون الخاتم وأقفل الخزنة، ثم قال:

ـ لم عدت؟ وكيف سمعت ما جرى؟

فردّت بجمود: «عدت لأشكرك على ما فعلته اليوم، فأنا لست جاحدة».

فتح علبة الخاتم ووضعها على المكتب، ثم نظر إليها متأملاً. ظهرت تحت

عينيها ظلال الإرهاق، لكن التمرد والحيوية كانا يتفجران من جسمها كله.

ـ يستحق هذا جائزة الأوسكار، يا ڤيڤيان.

فأجابت بحدة: «عندما يشرع الناس في الإساءة إلى سمعة شخص ما، يمكنه أن يصنع العجائب».

ـ هذا ما أراه، ولكن هذا. . .

وأخرج الخاتم من العلبة، وهو يضيف: «يؤكد اللعبة، وهذا ما رفضت بحزم القيام به من قبل».

ـ لقد غيّرت رأيي.

ومدت يدها إليه ليلبسها الخاتم، قائلة: «كنت أعلم أنك لن تعترض».

لم يناولها الخاتم على الفور، إنما راح يقلبه مفكراً ثم قال بابتسامة صفراء:

ـ ربما تندمين عندما تهدأ أعصابك.

ـ لا، لن أندم.

ثم ألقت برأسها إلى الخلف وقالت:

ـ لا بأس. كنت مجنونة عندما وافقت على هذا. ولكني سألعب اللعبة على أحسن وجه. لا تجادلني يا ليتون، فأنا متعبة.

لوى شفتيه، وأجاب: «لا تقولي إني لم أحذرك، يا ڤيڤيان. أي يد تريدين؟ اليمنى أم اليسرى؟».

فقالت بدعابة ماكرة:

ـ اليسرى، إنما حذار أن تجرفك عواطفك أو تركع على ركبتيك.

وضع الخاتم في إصبعها دون أن يركع، لكنه أخذها بين ذراعيه وضمها إليه. فقالت باحتجاج: «ليتون!».

ـ ڤيڤيان؟

وعندما تشابكت نظراتهما، رأت في عينيه نظرة ماكرة. ثم قال لها برقة: «ربما عليّ أن آخذك غالباً في رحلات جوية».

ـ لا أظنها فكرة جيدة جداً.

فرفع حاجبيه مستفهماً: «ربما ستعتادين عليها فلا تجدين دافعاً لعناقي. .

www.elromancia.com

بلهفة».

ووضع يديه حول خصرها. فقالت بجهد: «نعم، لا... أعني...»

وسكتت بيأس إذ عجزت عن فهم ما تعنيه. ووجدت صعوبة بالغة في التركيز.

ـ أخبريني عن أولئك الرجال الذين أحببتهم أكثر مني ولكنك كنت تكرهين عناقهم.

فعضت على شفتها، وقالت:

ـ لم يكن ذلك صحيحاً كلياً.. أعني، لم يكن لديّ أصدقاء كثيرون...

ـ هذا ما أفهمتني إياه.

طردت من ذهنها المشاعر التي أثارتها نظراته وكلماته.

ـ هممم... لا بأس. إن أردت أن تعرف حقاً، فما قلته صحيح. لم أكن أحب العناق. ولم أفكر فيه أبداً.

قطبت جبينها حين تراءى لها رايان دمبسي. وكان التجربة الوحيدة في حياتها التي يمكنها أن ترجع إليها لتقارن بين ما أثاره فيها من مشاعر وبين تأثير ليتون عليها. وانفرجت شفتاها وارتفع حاجباها فجأة فقد تطلب منها اكتشاف مشاعرها نحو رايان ستة أشهر. في حين أنه لم يتطلب مع ليتون سوى أربعة أيام من...

وقطع حبل أفكارها، حين سألها: «هل تقارنينني بعاشق سابق، يا ڤيڤيان؟».

واحمر وجهها وتململت محرجة. لكنها لم تنطق بكلمة واحدة.

ـ هل ستخبرينني إلى أي حد نجحت حتى الآن؟

ـ لا، طبعاً.

ـ لست إذن من الفتيات اللواتي يجرين المقارنات.

فقالت بلهجة انتصار: «من أعطاك حق طرح سؤال مماثل، يا ليتون؟ فأنا لا أرى مبرراً لذلك».

ضحك ليتون ثم أجابها: «أنتِ تضعين خاتمي، يا ڤيڤيان».

ـ وأنتَ تعهدت لي باتفاقية شريفة.

فقال بمرح: «ومع ذلك عليّ أن أغريك يا عزيزتي».

فقاطعته وهي تتنهد: «أنا من قام بالخطوة الأولى. لا بأس، أنا أتحمّل الإدانة».

فقال بهدوء: «لست البادئة... بل حدث ذلك ولم تنفري منه».

ـ أعرف ذلك.

تنهدت مجدداً، ونظرت إلى عينيه ببراءة وأضافت:

ـ لكني ما زلت خائفة من أن أحرق أصابعي بهذه النار. وأثناء فترة الإتفاقية، لن أدع الأمر يزيد عن الحدّ الحالي.

فقال ببساطة: «لا بأس».

ثم حملها بين ذراعيه وتوجّه نحو أريكة جلدية، فشرعت تقول:

ـ لا أريد...

وحاولت أن تنهض لكنها لم تستطع.

فأمرها قائلاً: «إسترخي، يا ڤيڤيان».

ثم انتظر قليلاً قبل أن يضيف:

ـ هل أنت مرتاحة؟

ـ ليس لدي خيار آخر.

وكانت قد جلست بجانبه ولف ذراعه حول كتفيها. ثم قال بنظرة ماكرة:

ـ لا، ليس لديك أي خيار، حالياً. فنحن بحاجة إلى التفاهم حول بعض المسائل.

تنهدت ڤيڤيان وتململت قليلاً لترتاح في جلستها فخف ضغط ذراعه حولها. خلعت حذاءها وثنت ساقيها على الأريكة ونظرت إليه مستفهمة:

ـ ماذا؟

ـ هل تقاومين من أجل اتفاقية العمل أم لأنك خائفة من التورط مع رجل؟

فنظرت إلى الخاتم في يدها، ثم شدت قبضتها، وهي تجيب:

ـ الاثنان معاً. أعلم أنه ما كان علي أن أوافق منذ البدء، لكنك أنت

www.elromancia.com

من . . .

وسكتت يائسة.

ـ هل تحدّيتك بحيث عجزت عن الرفض؟

ـ بالضبط. كان عليّ أن أصر على رأيي الأول، حول كيفية التأثير على فتاة دون أن تعمد إلى رشوتها.

ـ لم لا تدعينني أجرب؟

فنظرت إليه متأملة، وقالت:

ـ كأن تعانقني كلما طاب لك ذلك؟

ـ ليس بالضرورة. ولكن بما أننا معاً، تبدو الفكرة مناسبة كخطوة أولى.

راحت تنظر إلى الخاتم وتتأمله، ثم خطرت لها فكرة، فسألته:

ـ هل اشتريته من أجلي، يا ليتون؟

ـ نعم.

فانتفضت وكأنما أصابتها رصاصة. فتابع يقول:

ـ لكنه استثمار جيد في الوقت نفسه.

فهدأت وأجابت:

ـ كان عليّ أن أدرك ذلك. آه، حسناً، لقد ربحت شيئاً وخسرت شيئاً آخر.

وابتسمت مضيفة: «ظننت للحظة أني تركت أثراً كبيراً عليك، يا ليتون ديكستر، مما منحني طاقة وشعوراً بالقوة. لكني عدت إلى أرض الواقع، وسأخلد إلى النوم».

ـ لكنك لم تجيبي على سؤالي. يبدو أنك تتجنبين الموضوع.

فقالت ببطء: «لا . . . لا أدري. أنا . . .»

ـ أجيبيني على سؤال وحيد قبل أن تخلدي إلى النوم، يا ڤيڤيان. إننا، على أيّ حال، جالسان هنا كعاشقين.

تحركت وقد أدركت أنها قد ألقت برأسها مجدداً على كتفه وأن ذراعه ما زالت حول خصرها. فعبست وسألت: «ماذا؟».

ـ من هو؟

ـ شخص كنت أعمل معه، وهذا كل شيء.

ـ وظننت أنك أحببته؟

فسكتت للحظة وأجابت:

ـ ظننت ذلك، نعم. ظننت أن مشاعرنا متبادلة، لكني كنت مخطئة. وماذا عنك أنت؟

تركها ونهض واقفاً. فانتظرت للحظة، ثم وقفت بدورها.

وبالرغم من أنها سمعت هاتفاً في داخلها يحذرها، هاتفاً ينبهها من الإهتمام به وبعلاقته مع جيني. إلا أنها لم تستطع أن تكبح فضولها، فسألته: «لا بد أنك أحببت جيني كي تتزوجها؟».

كانا يقفان وجهاً لوجه وقد رفعت عينيها إليه.

رفع يده وكأنه يريد أن يلمس وجنتها، ثم بدل رأيه وأنزلها قائلاً:

ـ نعم، هذا ما ظننته على الأقل. لكن شعوري نحوها مات بشكل طبيعي عندما اكتشفت أنها، في الواقع، باعت نفسها لي، وأنها تعمدت أن تحمل مني كي . . تثبّت الإتفاقية.

* * *

٤ ـ هدوء ما قبل العاصفة!

في صباح اليوم التالي، استيقظت ڤيڤيان باكراً، في سريرها. ثم عادت تستلقي على ظهرها وهي تتأوه بعد أن رفعت يدها اليسرى لتتأمل الماسة المتألقة في أصبعها.

كانت ما تزال في مزرعة «هارفست مون»، في غرفتها المترفة بسجادتها الليلكية وستائرها الزرقاء وأغطية السرير البيضاء. ولم تنتقل أثناء الليل، على أجنحة اليمام إلى عالمها الآمن... فظهرت على شفتيها ابتسامة سرعان ما بهتت. لأنها كانت واثقة من أنها تسير في حقل ألغام، حقل لم تزرعه لها أسرة ديكستر وحدها، بل هي زرعته لنفسها.

لم تبق لتسأل ليتون مزيداً من التفاصيل، أو لتطرح عليه أسئلة كانت تتحرق شوقاً لمعرفة الجواب عليها.. لماذا باعت جيني ديكون نفسها لليتون ديكستر؟ وماذا حدث للطفل؟ فقد هربت منه، وهي تتمتم بتحية المساء. ولم تنتبه أنها نسيت حذاءها في المكتب إلا حين وصلت إلى غرفتها... لكنها لم تعد لتحضره.

لم يكن الجو بارداً، لكنها جذبت أغطية السرير والتفّت بها عندما تملكتها قشعريرة. لأنه في الأمس، وبعد أن عرفا بعضهما لمدة ثلاثة أيام فقط، احتال عليها ليعانقها بطريقة مذهلة... لماذا؟

وأجابت نفسها بأنها ليست سوى طريقة لتعلق في شباكه... لم تعد تنكر أن جاذبية ليتون تزداد بنظرها إلى درجة خطيرة... إلى درجة... لا، لا. لكن الصدق أرغمها على الإعتراف بذلك.

أجفلت وهي تفكر في حقيقة ما يعتريها، واعترفت بأنه قام معها بالمعجزات.

لقد ساعدها لتقوم برحلة في طائرة صغيرة. كما مدّها بالشجاعة فجعلها تشعر بأنها مرحب بها بدلاً من أن تشعر بالبلاهة المطلقة. وبالرغم من أنه أساء إليها حين وصفها بالكارثة المتنقلة، إلا أن اللوم يقع عليها، والخطأ خطأها هي. فقد أنقذ حياتها من غرق محتمل. ومنحها اتفاقية «شامبو كلوڤر»، وإن لم يوافق بعد على توليها حملة «عصير كلوڤر»...

فكرت بشيء من اليأس بأن ما يجري أشبه بالأرجوحة. كيف يمكنها أن تشعر معه بالراحة والأمان أحياناً، وبالذهول والرعب أحياناً أخرى... وهي بين ذراعيه! وذكّرت نفسها بأنه ضغط عليها لترافقه، واستخدم وسائل ملتوية ليقنعها. وأنه لم يكن صريحاً وواضحاً أبداً معها. لتظهر الآن هذه القضية الجديدة... زوجة سابقة وطفل...

سمعت طرقاً خفيفاً على بابها، فسألت بحذر:

ـ من الطارق؟

أجابها صوت فتاة مرح:

ـ الفطور، يا سيدتي.

ـ أدخلي!

وجلست ڤيڤيان بينما دخلت فتاة ترتدي ملابس خدم وردية تجر عربة عليها فطور، فقالت ڤيڤيان:

ـ لم أتوقع هذا.

فأجابت الفتاة:

ـ نظمت السيدة ديكستر رحلة بحرية لهذا اليوم. لهذا طلبت مني أن أعلمك بأنها تريد من الجميع الحضور إلى رصيف الميناء عند الساعة العاشرة. ستبحرون نحو مطعم ممتاز حيث ستتناولون الغداء، وبعد عودتكم ستقام مسابقة في لعبة «الكريكت». أتريدين القهوة أم الشاي، يا سيدتي؟

ـ قهوة. تبدو رحلة جميلة. إنه فطور رائع، شكراً يا.. بليندا.

عند العاشرة إلا ربعاً، توجهت ڤيڤيان إلى رصيف الميناء، بعد أن أمضت وقتاً طويلاً في التجول في الأنحاء. لطالما ساعدها السير على التفكير في مشاكلها بوضوح وحلها، لكنه لم يلهمها في هذه المرة، إلا أنها شعرت بتحسن. . . لم تكن تعلم كيف ستواجه ليتون ديكستر بعد أن هربت منه في الليلة الماضية. لكن المشي نحو مهبط الطائرات منحها ثقة بنفسها، وأشعرها أنها مسؤولة عن مصيرها.

بدت ملابسها مناسبة لهذه الرحلة. إذ ارتدت سروالاً قصيراً أبيض اللون، وقميصاً أبيض مطرزاً بالأصداف، وقبعة وردية اللون، تتناسب وحقيبة اليد التي حملتها وانتعلت حذاء رياضياً. كما ارتدت تحت ملابسها لباس بحر برتقالي اللون ووضعت نظارات شمسية فاكتمل مظهرها. ووضعت في حقيبتها، ملابس بديلة ومنشفة فيما لو سقطت في النهر مرة أخرى وكنزة خفيفة. وكان الخاتم في يدها اليسرى، بالطبع.

لم تصادف أحداً أثناء نزهتها، ما حمدت الله عليه. وكانت أول الواصلين إلى مكان الاجتماع، في ما عدا ليتون الذي وجدته على ظهر المركب يعالج المحركين القويين. كان نهاراً رائعاً، تألقت فيه الشمس، فبعثت الدفء في الكائنات.

وفكرت بحسرة في حظها العاثر، وهي تنظر إليه دون أن يراها. لكن ربما ينبغي أن تحدثه قبل أن يحضر الجميع.

فبادرته بشيء من الحذر: «صباح الخير».

رفع رأسه، ثم حك وجنته بيده، فلطخها بالشحم، وتمتم يقول:

ـ أتراها الآنسة فلوري، خطيبتي بالإكراه، المتألقة كل هذا التألق.

وضعت ڤيڤيان يديها على وركيها، وسألته: «هل أنت مستاء مني حقاً، يا سيد ديكستر؟».

ـ لا، أبداً.

لكنه أنزل غطاء المحرك بشيء من العنف.

ـ تبدو وكأنك تنظر إلى الدنيا نظرة حاقدة حالياً، أم أنني أتخيل ذلك؟

فرد عليها بسرعة: «وأنت تبدين وكأنك عدت للتأرجح على حاجز الرصيف، يا ڤيڤيان».

ابتعدت عن الحاجز بسرعة، وقالت:

ـ آسفة، أنا. . . لا، لن أقولها.

فقال بمرارة: «أرجو ألا تمتنعي عن ذلك من أجلي».

ثم أنزل غطاء المحرك الثاني وتوجه إلى الرصيف.

نظرت إليه بحذر، في بنطلونه الكاكي وقميصه الأصفر وحذائه الجلدي الخفيف. كان شعره يغطي عينيه، لكنه بدا عملاقاً أنيق المظهر بالرغم من مزاجه الكئيب المرتسم على ملامحه.

هزت كتفيها وقالت:

ـ حسناً، أردت فقط أن أقول إن السبب الوحيد لسقوطي أمس في الماء، هو شعوري بالدهشة، الدهشة البالغة.

فشبك ذراعيه على صدره، معلقاً: «وهذا ما جرى الليلة الماضية، على ما أظن؟».

ـ نعم. الحياة بين الأثرياء والمشهورين مختلفة عن الحياة التي اعتدتها.

ـ هراء، هذا يحدث لجميع الناس.

فقالت محذرة وهي تنظر إلى الجموع القادمة خلفه:

ـ ها. . ها أن الجميع يقتربون منا، يا ليتون. أمك، عرابتك، أختك، زوجتك السابقة، إدي، رالف، وصيفات العروس، ابنة عمك ماري، ثم. . . ربه، بعض الأولاد. كنت أتساءل عما إذا حجزتهم في حديقة الحيوانات. ولكن هل سيسعنا هذا المركب جميعاً؟

وأشارت نحو المركب الذي كان على متنه.

ـ الجميع ما عدا اثنين. أنا وأنت سنذهب في هذا.

وأشار إلى مركب أصغر ربط إلى الناحية الأخرى من الرصيف.

فتحت فمها لكن القادمين اقتربوا منهما، وسمعت رالف يقول بصوت

www.elromancia.com روايات رومانسية

مرتفع:

ـ أتراهما عصفوري الحب؟ صباح الخير يا ڤيڤيان. أراك لم تفقدي الخاتم بعد، أرنا إياه.

أما المهزلة الكبرى فجرت بعد ذلك، حين أمسك رالف بيدها، وصفر طويلاً وهو يعرض الخاتم على إميليا ديكستر لتتفحصه. فقالت والدة ليتون بفتور: «جميل.. جداً».

فعلقت مارلين وابن رايت وهي تتأمله من فوق كتف إميليا: «ليس جميلاً وحسب، إنما ثمين جداً، كما أتصور».

ردت ڤيڤيان وهي تسحب يدها بهدوء:

ـ أعتقد أن ثمنه ستون ألف دولار. وأنا واثقة من أنكما تتساءلان عما إذا كنت أستحقه، ولكن...

فتدخل ليتون قائلاً:

ـ أنا واثق تماماً من أنك تستحقينه، يا ڤيڤيان. حسناً يا رالف، أنت ستأخذ المجموعة الرئيسية. أما أنا وڤيڤيان فسنستقل المركب الأصغر، فليصعد الجميع على متن المركب.

ساد الصخب والفوضى عملية الصعود إلى المركب. ورتبت أغراض كل منهم على ظهر المركب الأكبر، فيما جلست ڤيڤيان على الحاجز الخشبي تؤرجح ساقيها. كان هناك أربعة أولاد، ولدان وبنتان، تتراوح أعمارهم ما بين الثالثة والعاشرة. بدوا جميعاً في منتهى الحماس والبهجة، ولم يظهر على أي منهم صلة بليتون أو جيني. في الواقع، جاءت جيني وجلست قرب ڤيڤيان أثناء تشغيل محركات «سفينة نوح» كما يسميها ليتون. وبدا أن مزاج هذا الأخير قد تحسّن، إذ تعامل برفق ورقة مع الأطفال. وراح يلبسهم سترات النجاة ليضعهم بعد ذلك على السلم، حيث ينتظرهم رالف وإدي.

قالت جيني بصدق واضح: «إنه جميل».

ـ إنه.. آه، الخاتم. هذا رأيي.

ـ لا تبدو عليك الثقة المطلقة.

قالت جيني كلماتها هذه، وقد التمعت في عينيها الأخاذتين الفاتحتي اللون، ومضة مرح، ثم أضافت:

ـ لا تهتمي باللايدي وابن رايت، فهي شوكة في إصبع جميع الحاضرين.

نظرت ڤيڤيان إليها، إلى شعرها الطويل الأشقر المربوط إلى الخلف تحت القبعة الزرقاء. كانت ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً أبيض واسع. وبدا أنها تحاول الظهور بمظهر عفوي بسيط إلا أن ملابسها عكست أناقة بالغة. وكان قوامها، وهي أطول من ڤيڤيان، نحيفاً رشيقاً. قالت لها ڤيڤيان:

ـ أنا... لم أكن أعلم بأمرك. إني آسفة.

رفعت المرأة حاجبيها وردت:

ـ أعلم ذلك. فليتون حريص جداً في ما يخبره للآخرين.

ـ أنت على حق. هذا ما جعلني أسقط في النهر في الأمس، لم أكن أعرف أنه كان متزوجاً. هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً؟

فأجابت جيني ديكون ببطء: «نعم، علماً أني قد لا أستطيع أن أجيبك».

ـ هل تحبينه؟ هل سبق لك ذلك؟

ـ آه، نعم. لكن حب ليتون يؤدي بك إلى تحطيم قلبك... حسناً، أظنهم بحاجة إليّ الآن.

ثم وقفت وهبطت السلم.

وقفت ڤيڤيان بدورها وراحت تنظر مع ليتون إلى رالف وهو ينطلق بالمركب بحذر. عندها سألها: «مستعدة؟».

ـ تماماً.

ـ أتخافين المراكب؟

فقالت بغضب وهي تنزل إلى المركب، دون انتظار مساعدته: «أبداً».

ثم جلست على أحد المقعدين المنجدين. فتبعها، لكنه لم يشغل المحرك على الفور:

ـ أرى أنني جرحتك.

فردت عليه بحدة:

ـ نعم. وليس هذا فحسب، بل خيبت ظني. في الأمس، تعاطيت بشكل رائع مع خوفي من الطيران. واليوم قضيت على كل ذلك بضربة واحدة!

سكتت فجأة، وشبكت ذراعيها على صدرها، وهي تحدق في المركب الكبير، عابسة.

قال، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة طفيفة:

ـ بكل تواضع، أطلب صفحك، يا ڤيڤيان. لا أريد أن يكون في سجّلي عندك نقطة سوداء.

ـ هراء.

والتفتت إليه، وتراجعت حدة غضبها دون سبب واضح، حين أخذ يضحك. ثم قال لها:

ـ لم أر قط من تأخذ معها حقيبة محشوة مثلك، أرجو ألا تضطري إلى تغيير ملابسك. هل أنت جاهزة؟

ترددت، ثم أومأت إيجاباً.

فتح غطاء المحرك، ووضع قبعته ونظاراته الشمسية، ثم شغّل المحرك. وبعد دقائق، شقا طريقهما في النهر. كانت الرحلة منعشة مليئة بالبهجة.

سألها: «هل تزلجت من قبل على الماء؟».

ـ لا. ولكنني واثقة من أن الأمر ممتع.

وأحست ڤيڤيان مع مرور الوقت بتحسّن كبير.

أبطأ ليتون سرعة المركب ثم استدار به فخلف وراءه خطاً فضياً على المياه السمراء. واتجه بالمركب نحو شاطىء جميل صغير يحيط به دغل كثيف.

ـ ظننت أننا سنلحق بهم.

فأشار إلى جهاز اللاسلكي الموضوع أمامه، وقال:

ـ يمكن لرالف أن يتصل بنا في حال حصول أي طارئ. هل فكرت في إحضار ثوب سباحة معك؟

ـ إنني أرتدي واحداً. . . أتراها فرصة لتتخلص من بقية المجموعة؟

ـ ليسوا بحاجة لنا حالياً. إنهم كثيرون.

وضغط على أحد الأزرار فتعالى صوت سلسلة المرساة.

وقفت ڤيڤيان تطيل النظر إلى المياه.

ـ يمكنني أن أقفز من المركب، هل المياه عميقة كفاية؟

فأومأ برأسه.

ـ وماذا عن المد والجزر؟

ـ سيبدأ المدّ بعد قليل. لن تتعرضي لأي مشكلة.

ـ آه، ولكن كيف أعود إلى المركب؟

ففتح ليتون خزانة صغيرة وأخرج منها سلماً من الحبال علّقه بجانب المركب.

ـ على هذا.

ـ أرى أنك اتخذت احتياطاتك لكل شيء.

خلعت ثيابها، ثم وضعت خاتمها في علبته التي كانت في حقيبتها. وبعد تفكير قصير، أخرجت قميصاً طويلاً من حقيبتها وارتدته. فسألها ساخراً وقد راح يخلع ثيابه:

ـ هل ستسبحين أم ستسيرين على الماء؟

فأجابت وهي تقفز إلى الماء:

ـ بل لأحمي بشرتي من أشعة الشمس.

وما إن عادت للظهور على وجه الماء، حتى أخذت تسبح نحو الشاطىء. ورغم أن ليتون قفز بعدها بلحظة، إلا أنها غلبته. قال لها بعد أن وقفا والمياه تنساب عن جسميهما:

ـ أنت رائعة يا آنسة فلوري.

رفعت ڤيڤيان شعرها عن عينيها ثم ضحكت، قائلة:

ـ أنا مسرورة جداً لأني رائعة في بعض الأمور.

ضاقت عيناه مفكراً. ومع أنه لم ينطق بأي كلمة، إلا أنها شعرت أنه اكتشف نيتها في أن تحافظ على جوّ مرح بينهما. رغبت بهذا لأنها، ولسوء حظها، لا تعرف ما يمكنها أن تفعل غير ذلك. فعندما رأت ليتون ديكستر

www.elromancia.com

بسرواله القصير الأزرق، وكتفيه العريضتين العاريتين، وخصره النحيف وساقيه السمراوين الطويلتين اضطرت لابتداع خطة ما تحمي بها نفسها.

قال لها: «أنت بارعة جداً في عملك».

ثم تقدمها إلى صخرة مسطحة يتوسطها حوض طبيعي مليء بالماء، فمسح الماء الساخن عن سطحها، ليتمكنا من الجلوس دون أن يحرقا جلدهما. وأجابته مازحة:

ـ هذا مختلف. علماً أني قد أكون كارثة متنقلة حتى في العمل.

ـ علاقة عمل؟

جازف بهذا القول وهو ينظر إليها وقد ارتسم على شفتيه طيف ابتسامة.

ـ كما رأيت، هذه هي الجنة.

ووقفت ثم غطست في الماء مجدداً. وبعد حين، عادت إلى حيث استلقى ليتون، ثم جلست إلى جانبه وهي تشير إلى الدغل، قائلة:

ـ بوجود هذا الدغل، لن يتمكن أحد من الوصول إلى هنا بالبر، أو حتى سيراً على الأقدام.

ـ إنه مكاني الصغير الخاص، وهو المفضل لدي.

ـ حسناً، شكراً على مشاركتي إياه. خاصة وإني. . . قد لا أكون الشخص المفضل لديك، حالياً.

ـ من قال هذا؟

ـ ربما لم تقله بلسانك، ولكن موقفك هذا الصباح، أشار إلى ذلك بوضوح.

ساد صمت قصير، قال بعده: «كنت أنظر إلى العالم نظرة حاقدة، هذا الصباح، أو لعل العيب فيّ أنا».

فنظرت إليه من تحت أهدابها وسألته:

ـ أتعني أنك مستاء من نفسك؟

ـ ماذا سيكون موقفك، لو كنت مكاني، مع زوجة سابقة وخطيبة مكرهة تحت سقف واحد؟ هذا عدا عن الباقين؟

فضحكت وأجابت: «رباه، لا أحسدك أبداً! وهذا ما يجعلني لا أصدق أن ما يحدث حقيقة واقعة!».

ثم سارعت تؤكد له: «ليس في ما يخصني، وإنما بالنسبة للأمور الأخرى، أظنها ما زالت تحبك».

أضافت جملتها الأخيرة، برزانة وجديّة مفاجئة.

ـ هل هذا ما قالته لك عند الرصيف؟

ـ نعم. . . لا. أعني عندما سألتها فقط.

فتمتم بمكر: «هذه فتاتي ڤيڤيان».

ووضع يده على يدها على الصخرة: «ولكن لم سألتِ، وأنتِ مصرّة على أن لا شيء حقيقي يربط بيننا؟».

أمعنت التفكير قبل أن تجيب: «لا أدري، أظن أن الفضول أفقدني الحكمة».

ـ لقد هربت مني الليلة الماضية.

فهزت كتفيها: «هذا أفضل من السقوط في النهر».

ـ لماذا هربت مني، يا ڤيڤيان؟

فتنهدت فجأة، وقالت:

ـ أنت، وهذا الوضع كله. أظن أن هذا كثير عليّ.

فسألها ساخراً:

ـ ألهذا قررت أن تستمري بلعب دور الفتاة الأجيرة بالرغم من كل ما حصل؟

ـ لم أحصل بعد على اتفاقية عصير كلوڤر. ولكن أثناء لعبي دور الفتاة الأجيرة لأسباب معيّنة، أنصحك بعدم استغلال الموضوع.

ـ ألهذا السبب لبست قميصاً فوق لباس البحر؟

ـ نعم! فأنا أعرف تأثير لباس البحر. ومن يلومني لحمايتك من نفسك؟

راح يضحك، فسألته غضبة:

ـ لماذا تضحك؟

فقال، والابتسامة لا تفارق محياه:

ـ آسف يا ڤيڤيان. ولكني لم أكن أتوقع ذلك، وأنا أصدقك. اسمعي، اخلعي القميص، أنت آمنة معي، فمزاجي ليس ملائماً اليوم.

ـ شكراً، ولكنني سأبقيه على جسمي على أي حال، إذ علينا أن نفكر في الشمس.

ـ كما تشائين.

وشبك ذراعيه على صدره ثم أضاف: «لكن هذا لن يمنعني من إخبارك بأن قوامك متناسق جداً. وأن بشرتك ناعمة ولونها بلون الذهب».

انفرجت شفتاها، وهو يصفها بهذا الشكل. وبقيت على حالها للحظات بعد سكوته، ثم قالت:

ـ إن لم يكن هذا مزاج السلطان، فأنا محظية ولكنني أؤكد لك أنك مخطئ.

ـ أنا واثق من أنك ستكونين محظية رائعة، يا ڤيڤيان، ولكن قبل أن تفكري في ضربي، علينا أن ننضم إلى المجموعة.

فتأوهت وقالت: «هل يجب أن نلحق بهم؟ ألا أستطيع التظاهر بالصداع؟ لن يتطلب الوصول إلى مكان وجودهم سوى دقائق و . . .».

ـ لا، إذا كنت تودين الحصول على اتفاقية عصير كلوڤر.

شعرت وكأن ماءً بارداً انسكب عليها. ولم يفدها هذا الشعور غير العقلاني، فقالت بجفاء:

ـ سر أمامي إذن، يا سيد «عصير كلوڤر».

ثم قررت ألا تنتظره، فقفزت إلى المياه. وبالرغم من أنها سبقته في العودة إلى المركب، إلا أنها لم تتمكن من الصعود إليه. فالأمر لم يكن سهلاً كما ظنت، وعندما وصل إليها، قالت له:

ـ تباً لهذا السلم اللعين! فهو لا ينفك يتوارى تحت المركب.

ـ هناك طريقة معيّنة لصعوده يا ڤيڤيان. دعيني أسبقك كي أساعدك.

ولم يكن أمامها إلا أن توافق. لكن بالها لم يرتح حين رآته يقفز إلى سطح المركب بطريقة أبرزت قوة جسمه، فحبست أنفاسها لا إرادياً. ثم مدّ يده إليها

وسحبها إلى ظهر المركب بقوة عضلاته، ووقفت بين ذراعيه هادئة لاهثة، وشعرت بالغباء عندما ساعدها على الوقوف على قدميها.

قالت وهي تلهث:

ـ هذا أصعب مما يبدو عليه.

ـ إن الصعود يستدعي قوة في الذراعين والكتفين.

ترافقت كلماته مع مرور مركب آخر رشّهما بالماء وهزّ مركبهما. إلاّ أنه بقي صامداً، وقدميه المتباعدتين ثابتتين بقوة كشجرة راسخة. وأدركت أنها لو كانت مكانه لسقطت على وجهها.

تنهدت بهدوء وهي تشعر بالأمان بين ذراعيه. كما راح قربه يثير مشاعرها. وعجزت عن الابتعاد عنه، لا بل لم تشأ أن تفعل. لكنه أفلتها ببساطة وتناول قميصه، ثم قال بلهجة عادية:

ـ سأدير لك ظهري إذا شئت أن تغيري ملابسك هنا، أو بمكنك أن تقومي بذلك في المطعم.

بقيت صامتة وقد تملّكها شعور بخيبة الأمل . . . وبعد حين، قالت بهدوء:

ـ شكراً، لكنني قد أحتاج إلى مرآة، لهذا سأبدل ملابسي في المطعم.

ثم وضعت قبعتها ونظاراتها الشمسية وجلست.

بدأ يتحرّك بالمركب. لم يدر بينهما أيّ حديث سوى تعليقات حول المركب وأمور عامة أخرى، أثناء الرحلة إلى المطعم والتي استغرقت عشر دقائق. أما المطعم فمبنى ريفي خشبي، ذو شرفة فسيحة في الطابق الثاني تشرف على النهر. وكانت بقية المجموعة قد سبقتهما إليها، سألته عندما اقتربا من الرصيف.

ـ هل أحد هؤلاء الأطفال ابنك؟

نظر إليها، فأخذت تتساءل عما إذا كان هناك أثر للكآبة في عينيه.

ـ لا، فقد أجهضت جيني.

***

ـ إنك هادئة جداً، يا ڤيڤيان.

www.elromancia.com

طرحت عليها ماغ هذا السؤال، بعد أن انتهى الغداء. كانت الوجبة، وبفضل إميليا، هادئة. فلم يبدِ أحدهم أي معارضة على خطبة ابنها لفتاة غريبة كلياً.

كما كان الغداء فرصة، سمحت لڤيڤيان بمراقبة تصرفات أسرة ديكستر. أحسن رالف التصرف.. وبدا ظريفاً، حلو المعشر، حنوناً مع أخته ماغ. وظهر تقارب بينه وبين ليتون، رغم الإختلاف بينهما، وبدا جلياً أن إميليا تستمتع بهذا الانسجام الظاهر بين أولادها الثلاثة. كما تجلت في نظراتها نحو ابنها الأصغر خيبة أمل ممزوجة بولع بالغ. ولأول مرة، تقدمت ماغ، شقيقة ليتون، لتجلس قرب ڤيڤيان، بعد أن تفرقت المجموعة في الأنحاء. فنزل بعضهم إلى الطابق الأسفل، ليصطادوا السمك مع الأولاد.

كانت ماغ بسيطة الملبس كالباقين، وتشبه ليتون كثيراً. ويبدو عليها أنها تعرف جيداً ما تريد وكيف تحصل عليه.

قالت ڤيڤيان: «لقد أكلت كثيراً، وتعرضت لحرارة الشمس وإلى ما هنالك».

بدا الأسف في صوتها، وشعرت بالتوتر لأنها تعلم ما سيأتي بعد ذلك فأضافت: «كان الطعام رائعاً».

ـ نعم، إنه رائع دوماً. وبعض الناس يقصدون هذا المكان بالطوافات.

ـ الحمد لله لأني لست مضطرة لذلك.

ـ أخبرني ليتون أنك تكرهين الطيران.

وعندما رفعت ڤيڤيان حاجبيها أكملت ماغ حديثها، قائلة: «لا تظهري كل هذه الدهشة، إنه أخي. فلم عليه ألا يخبرني شيئاً عنك؟».

ـ لا... أنا فقط... أشعر بالحرج من هذا الأمر... أعني الطيران.

وسرعان ما جاء السؤال، الذي كانت ڤيڤيان تخشاه. إذ سألتها ماغ مقطبة الجبين:

ـ منذ متى تعرفينه؟

فردت متلعثمة: «ليس من مدة طويلة.. لقد تطورت الأمور فجأة بيننا».

ثم لم تستطع منع نفسها من أن تضيف باكتئاب: «إسمعي، أنا آسفة إذا ما أحدثت بعض الفوضى، في هذه المناسبة الخاصة. لم أكن أدرك... أعني... لم أكن أعلم أنني سأسبب مثل هذا الإزعاج».

جمدت ماغ في مكانها للحظات. وراحت تتفرس في ملامح ڤيڤيان المكتئبة بتمعن، ثم قالت:

ـ إدي معجب بك ويراك أهلاً لليتون. في الواقع إغتاظ إدي مني، لأني شاركت في المؤامرة لمفاجأة ليتون بجيني مع إني أؤمن كثيراً بحسن رأيه...

ولوت شفتيها مازحة ثم أكملت: «وإلا لما تزوجته.. لكنه لا يعرف كم تحب جيني ليتون أو... حسناً، لم أكن أعرف إدي عندما كان ليتون وجيني معاً. ولهذا هو لا يعلم... كيف كانا...».

ابتلعت ڤيڤيان بريقها ولم تعرف ما تقول. بينما تابعت ماغ:

ـ أنا أعلم أن أمراً عظيماً فرّقهما، وليتون يمكن أن يكون أحياناً عنيداً للغاية. وأظن أن السبب يعود لأنه ورث شركة كلوڤر وهو صغير السن. فكان عليه أن يطهّرها من عناصر السوء وأن يحافظ على استمرارها. ولكن، حسناً، لقد ظننت فقط...

وسكتت ثم هزت كتفيها بيأس قبل أن تختم كلامها بالقول: «ظننت أنه من المفيد لك أن تعلمي...» وسكتت.

إستقامت ڤيڤيان في جلستها ثم أخذت تعبث بخاتمها دون وعي، وقالت لها: «إسمعي».

ثم سكتت لتطلب من الله أن يرشدها، قبل أن تضيف: «إن أخاك في مأمن معي، يا ماغ.. لن أدعه يتزوجني كردة فعل أو انتقاماً من زوجته الأولى، أعدك بذلك».

فنظرت إليها ماغ مذهولة، وسألتها: «كيف يمكنك أن... تقولي هذا؟».

فأجابت ڤيڤيان مكشرة: «لم أعلم بأمر جيني قبل قدومي إلى هنا. ولهذا... أظن أن الأمور تحتاج إلى إعادة تقييم. وبالمناسبة أنا لست صائدة

www.elromancia.com

ثروات».
فقالت ماغ ببطء: «فهمت».
ثم أضافت: «لو كانت الظروف مختلفة لأحببتك، يا ڤيڤيان».
- هذا ما قالته أمك لي. وأتمنى، يا ماغ، من كل قلبي، أن تصدقيني وألا تدعي هذه السحابة تعكر عليك صفو عرسك.
ثم أكملت بعد تردد قصير:
- كما ليس في نيتي أن أشترك في أي مواجهة بين ليتون وجيني، أو أن أخلق مزيداً من المآسي.
ونهضت وهي تقول: «من الأفضل أن أتخلص من هذا الغداء، وإلا ازداد وزني».
نهضت ماغ بدورها، وفاجأت ڤيڤيان حين تأبطت ذراعها قائلة: «وأنا أيضاً. وأقسم أني سأخسر كيلو غراماً قبل العرس. ما رأيك لو أقنعت أمي بأن تستبدل الكريكت بكرة المضرب حين نصل إلى البيت؟ هل تجيدين هذه اللعبة؟».
- نعم، وأراها فكرة جيدة جداً.

* * *

- يبدو أنك كسبت أختي إلى جانبك، كيف فعلت هذا؟
طرح عليها ليتون هذا السؤال بعد أن انطلقا خلف المركب الكبير.
- أخبرتها أنك آمن معي، يا ليتون، وأني لن أدعك تتزوجني كردة فعل على ما جرى مع زوجتك الأولى... إذا أردت الحقيقة.
جمدت يداه على عجلة القيادة، ونظر إليها غير مصدّق، ثم أخذ يضحك.
فقالت تحذره: «ليتون، ستصطدم بمركب آخر».
- آسف. كان عليّ أن أعلم أن السبب هو شيء مبتكر وفي منتهى البراعة، هذا إن لم يكن جوهرياً، يا ڤيڤيان فلوري.
- شكراً لك.
- ولكن من قال إنّ ما قمت به هو ردة فعل؟

فهزت كتفيها:
- هي التي فعلت. وأظنها أصبحت أكثر سعادة الآن، خصوصاً في هذا الأسبوع المميّز من حياتها. ولا يعود ذلك لجهد بذلته أنت، يا ليتون.
أضافت جملتها الأخيرة بلهجة لاذعة، فأجاب:
- لو لم يتطفلوا على حياتي ويتدخلوا في ما لا يعنيهم، لما حدث هذا.
فعادت ڤيڤيان تهز كتفيها وكأن الأمر لا يعنيها، فنظر إليها وسألها: «وهل صدقتك؟».
صرفت بأسنانها، وقالت باقتضاب: «صدقتني».
ثم سردت له الحديث الذي دار بينها وبين أخته.
فعلق قائلاً: «إعادة تقييم؟».
وابتسم ضاحكاً ثم أضاف: «أنت تحفة نادرة».
- لا أظنك تتوقع مني أن أبقى لألعب دور الشرير في القصة.
فقال وكأنه يحدث نفسه: «لا أدري ماذا أتوقع. كنت هادئة جداً على الغداء».
- إنها طريقة جيدة للابتعاد عن المشاكل.
- ولا علاقة لذلك بمواجهتنا السابقة؟
فقالت بجرأة وهي تعض شفتيها: «لا».
- كنت أتساءل فقط عما إذا كانت تصرفاتي قد جرحتك.
فرمقته بنظرة، وقالت:
- لا، مطلقاً. كل ما في الأمر أني لا أريد أن أكون واضحة كل الوضوح.
كان يبحران والصمت يلفهما. وما لبث ليتون أن زاد سرعة المركب، مما جعل المحرك الخلفي يهدر. وهكذا، لم يعد بإمكانهما تبادل الأحاديث من دون صراخ، فلاذت ڤيڤيان بالصمت.
وراحت تتساءل عن أثر كلماته عليها. فقد كذبت عليه حين ادّعت أن ما جرى بينهما لا شأن له بهدوئها. ولم تشأ أن تعترف له بأن هذا ما جعلها صامتة أثناء الغداء على غير عادة. كانت تفكر في مدى تأثيره عليها، في حين أنها لا تثير

لديه أيّ شعور .

***

كانت مباراة التنس سريعة نشيطة، لكنها لم تكن جادة . وبعد انتهائها، توجّه الجميع إلى البحيرة . وهناك، أعلنت إميليا أنهم سيقيمون حفلة شواء عند المساء، وأن أمامهم ساعتين للراحة .

استلقت ڤيڤيان على سريرها، وبقي ذهنها مشغولاً بالتطورات الجديدة . هل رالف وجيني صديقان، أم أنها تصوّرت ذلك؟ لعبا كفريق في مباراة التنس، وعندما فازا أخذها بين ذراعيه وعانقها مطولاً . وبعد السباحة في البحيرة، أخذ رالف طبلتين وأذهلهم جميعاً ببراعته . لكن جيني كانت أكثر الحضور تحمساً له . . . وتساءلت ڤيڤيان عما يعني هذا كله؟ أترى جيني تستغل شقيق ليتون لتسترده هو؟

لا بد أنها غفت . إذ دخل ليتون إلى غرفتها، للبحث عنها بعد مرور ساعتين ونصف . لم تستيقظ حين طرق الباب، كما لم تسمع الطرق . لكنها استيقظت مترنحة، متوعكة . كان الظلام سائداً، وهي مشعثة الشعر، مشوشة الذهن . دخل وأشعل المصباح الموضوع قرب سريرها . عندما نظرت إلى الساعة، هتفت بذهول ويدها على فمها :

ـ آه، لا .

فقال بهدوء وهو يجذب كرسياً ليدنيه من السرير : « لا بأس، يا ڤيڤيان» .

فسألته بخشية وهي تمرر أصابعها في شعرها : «أحقاً لا بأس في ذلك؟» .

كانت ڤيڤيان قد خلعت لباس السباحة وارتدت قميصاً طويلاً من الساتان، قبل أن تندس تحت الملاءة . كان قميصها مطرزاً بشكل رائع، بأزهار وردية اللون . وبالرغم من أنه محتشم إلا أنها سحبت الملاءة قليلاً والتفّت بها . وجلس هو قائلاً :

ـ بالطبع، فليس هناك سوى حفلة الشواء . ولا بد أنك متعبة جداً، كي تنامي بهذا الشكل .

فأجابت وهي لا تزال تشعر بالدوار :

ـ لا بد أنني كذلك، إنما لم ألاحظ . كنت قد قررت أن أنام نصف ساعة فقط .

ثم نظرت إلى نفسها وأضافت : «آسفة لاستقبالك بهذا الشكل، أظن أن الجميع في الطابق الأسفل، وأنهم يستمتعون بوقتهم» .

فأومأ برأسه بالإيجاب . وجلست مستندة إلى الوسائد وسألته : «أتراني أخطأت في شيء ما؟» .

ـ ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟

تأملته مقطبة . كان يرتدي بنطلوناً من الجينز الأزرق وكنزة بيضاء بياقة بحرية .

ـ أنا فقط . . . أشعر بشيء ما .

ـ قد أكون مكتئباً بعض الشيء .

وسكت قليلاً ثم قال : «أتريدين شيئاً ما؟» .

نظرت بعينيها غير قادرة على فهم قصده .

ـ أعني أن تأكلي أو تشربي؟

فجلست وهي تتمطى، ثم قالت :

ـ لا أريد سوى فنجاناً من الشاي وشطيرة، وأن أستلقي بعدها مع كتاب . ولكني لا أظن أن هذا سيساعدني على نيل اتفاقية «عصير كلوڤر . . .» .

فقال، وقد ارتسم على شفتيه طيف ابتسامة :

ـ يحق لك باستراحة . وكنت سأسعى للحصول على مهلة لكلينا غداً . كم تحتاجين من الوقت لتستعدّي لحفلة راقصة؟

أخذت تفكر في الأمر، لقد أحضرت معها ثوباً مناسباً للحفلات الراقصة . راحت تتأمل أظافرها، ثم عادت تلعب بخصلات شعرها الطويل . ونظرت إلى ليتون بمكر، قبل أن تقول : «نصف ساعة . لماذا؟» .

فبادلها نظرتها بنظرة مرح ماكرة مشوبة بالإعجاب .

ـ ڤيڤيان، أكثر الرجال يعبدونك من أجل هذا فقط . لماذا؟ حسناً، سنُقام حفلة راقصة هنا مساء الغد . ونزولاً عند رغبة الجميع، وكي يستعدوا لها،

www.elromancia.com

منحوا يوم راحة. ففكرت في أن نلعب «الهوكي».

- أين؟

فأجاب بوقار: «في «بالم بيتش» إنه مكان جميل. يمكننا أن نسبح، ونتناول الغداء الخ... وليس عليك أن تجتمعي بالأسرة قبل مساء الغد».

- هذا إغراء كبير، يا ليتون. ولكن هل علينا الذهاب بالطائرة؟

فنظر إليها برقة، وقال: «لا، سنذهب بالمركب».

كانت يداها ممسكتين بالغطاء، فنظرت إليهما عندما إنقبضتا لا إرادياً. فقضاء يوم كامل بعيداً عن الأسرة وعن مهزلة دور الخطيبة سيكون بمثابة الفردوس بالنسبة لها. ولكن تمضية يوم كامل، وحيدة، مع ليتون ديكستر، يحمل نوعاً آخر من الإرهاق لأعصابها، فكيف ستتمكن من مقاومته؟

- أعدك ألا أفعل شيئاً ترفضينه، يا ڤيڤيان.

تنهدت ورفعت نظرها إليه، ولم تستطع تحويل عينيها عنه. طغت مشاعرها، وبرزت تلك الجاذبية التي لم تعد قادرة على إنكارها. تأججت أحاسيسها، وألهبها الشوق والحنين إليه. ودت لو تخفف عنه ما يزعجه. وكانت واثقة من أن هناك ما يزعجه... لكنها لن تدعه يستغلها، فهذا خطر، وحماقة، قد تتسبب بتحطيم قلبها.

ثم تذكرت جيني ورالف، فاتضحت الأمور. أرخت أهدابها، وسألته: «هل هذه اتفاقية شريفة؟».

- الأمر كله عائد لك.

فارتجفت، ووقف وهو يقول:

- أنا لست «كازانوڤا» ملك العشاق، يا ڤيڤيان.

فردت بشيء من الكآبة: «أعرف هذا.. لا بأس».

- يا للفتاة الطيبة، آه..

والتفت حين سمع طرقاً على الباب، ثم قال لها:

- ها قد جاء عشاقك، تصبحين على خير.

* * *

٥ - عروس البحر تغني

قال ليتون: تلك هي منارة «بارانجوى».

كانا قد خرجا باكراً من مزرعة «هارفست مون»، وأبحرا ساعة كاملة ليصلا إلى «بيت ورتر». هناك، أرسى ليتون المركب في حوض للسفن وانتقلا منه إلى سيارة «رانج روڤر» كانت متوقفة في المرآب. ويبدو أنه اعتاد أن يحتفظ بسيارة له هناك. كان نهر «هاوكسبري» ينتهي بمصب واسع تتدفق منه المياه فتتشعب خلجاناً صغيرة وجداول، أما شاطىء «بالم بيتش» فيطل على المحيط.

سحرت المياه الصافية التي أبحرا فيها ڤيڤيان. كما لفتتها الصخور الشاهقة، والمراكب والشواطئ الصغيرة الجميلة والجزر والخلجان وفتنتها المساكن التي لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة المراكب. كان يوماً رائعاً، أرسلت فيه الشمس أشعتها خيوطاً ذهبية لتدفىء الأرض.

سبحا لبعض الوقت في مياه «بالم بيتش»، حيث المقاهي الحيوية الممتدة على الرصيف، والمتاجر الصغيرة. وقاما بجولة حول الرأس البحري. وأثبت ليتون، في فترة الصباح، أنه مرافق رائع، مميز. فقد استرخت وتسلت، حتى نسيت خوفها مما قد يسببه لها هذا النهار من توتر.

سألها: «هل أنت جائعة؟»

فابتسمت قائلة: «كاد يحين وقت الغداء».

- فلنتناول الغداء إذن.

لكنه لم يصطحبها إلى مطعم، بل عاد بالسيارة كيلو مترات عدة، ثم انعطف ليسلك طريقاً ضيقاً بمحاذاة المحيط. امتدت الطريق بين أشجار

متشابكة ونباتات كثيفة. ولم ترَ، حين توقفا، سوى باب مرآب خشبي، انفتح دون صوت حين ضغط على زر التحكم عن بعد. سألته:

ـ ما هذا؟

ـ إنها استراحتي. ولعله المكان الوحيد الذي أدعوه بيتي.

وعندما أجفلت بشكل جلي، وضع يده فوق يدها وأضاف: «لم أحضرك إلى هذا المكان لأغويك. أردتك أن تريه، وحسب».

نظرت في عينيه، فوجدتهما رزينتين وداكنتي الزرقة.

* * *

دخلت إلى البيت من باب المرآب، بشيء من الحذر. ولكنها ذهلت لما رأته. بني المنزل على طرف جرف، ينحدر انحداراً شديداً نحو المحيط. وكانت المناظر التي يطل عليها رائعة للغاية. كما كانت الغرفة الفسيحة رائعة. وتنتهي بما يشبه سطح سفينة خشبي أنيق.

أما أثاثها فأرائك مريحة ذات أغطية خضراء، وسجاد بديع يغطي أرضية مزخرفة وزيّنت الغرفة نباتات زرعت في آنية فخارية، وخزائن مطعمة بالصدف، وتماثيل ومنحوتات. كما علقت على الجدران ستائر بديعة ذات ألوان أخّاذة. يمكن للمرء أن يطل على الشرفة من خلال واجهة زجاجية عريضة. وقد أضفت عليها النباتات المختلفة التي زرعت في أحواض صغيرة، والتماثيل، طابعاً راقياً ومميزاً. كما وضع عليها طاولة وكراسي خشبية.

لكن جل ما أذهلها في استراحة ليتون هذه، هو الوحدة. إذ بدا بيته، وكأنه كهف مضاء بين الصخور، بعيد عن كل ضوضاء شاطىء «بالم بيتش» وحركة «بيت ووتر»، وعن العالم أجمع.

ـ حسناً؟

إستدارت فرأته يقف خلفها وينظر إليها بمرح، كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً قرمزياً، بينما ارتدت ثوباً مكشوفاً فوق لباس البحر. وكان شعرهما مشعثاً ووجهاهما متوهجين من الشمس.

هزت رأسها وقالت: «لا أظن أن الكلمات ستفيها حقها.. هذا رائع».

ـ شكراً. والآن، إذا سارت الأمور كما نريد، فلا بد أن جنيّتي قد جهزت لنا غداءً. لنلق نظرة.

كان المطبخ الذي قادها إليه رائعاً أيضاً، وكان تصميمه أشبه بمطبخ سفينة ويحتوي على كثير من الآنية والأجهزة المعدنية. فتح الثلاجة وقال: «نعم، لقد جهزت الغداء». ووقف جانباً كي يسمح لفيڤيان بإلقاء نظرة.

لم تكن الثلاجة تحتوي على الكثير، عدا الزبدة والحليب، ولكنها رأت طبقاً كبيراً من القريدس المسلوق وغير المقشر، وطبقاً من المحار، وليمونتين.

كما لاحظت وعاء مايونيز، وسلطة وقالب «حلوى» بالشوكولا، فضلاً عن قالب من الجبن، وتنهدت ڤيڤيان مسرورة.

فسألها: «هل أعجبك هذا؟».

أجابت:

ـ ومن لا يعجبه؟ قريدس بارد يؤكل بالأصابع في يوم حار وحار. جنيّتك هذه نابغة حقاً، كيف علمت أنني أعشق الحلوى بالشوكولا؟

حملا الطعام إلى الشرفة وتوجها إلى السطح.

شهقت ڤيڤيان ثم وقفت قرب الطاولة وقالت: «لا أظنني قادرة على التقدم خطوة أخرى بعد».

كشر ليتون وضرب على جبينه قائلاً:

ـ نسيت خوفك من العلو. أتعلمين يا ڤيڤيان أن هذا السطح ليس أعلى من شقتك في الطابق الثالث بكثير؟ ومع ذلك سنبقى هنا.

فقالت وهي تجلس إلى الطاولة: «شكراً، أنا مرتاحة هنا تماماً».

راحا يتناولان المحار، وكان لذيذاً مع عصير الليمون. بعدها، بدآ بتقشير القريدس. فراح يقشر واحدة منها ويأكلها، فيما تقشر هي عدداً منها أولاً ثم تأكلها لاحقاً. وتعالى ضحكهما وهما يحاولان تحليل صفات كل منهما استناداً إلى طريقته في الأكل.

ارتفعت الشمس إلى قبة السماء، فأحضر ليتون قبعتين من القش ليتقيا أشعتها القوية. وكان البحر الممتد أمام ناظريهما صافياً.

www.elromancia.com

قالت، وهي تغسل أصابعها في وعاء مخصص، ثم تنشفها بمحرمة من قماش:

ـ هذا رائع جداً، الإحتفال بالبحر، وطعامه، والأكل بالأصابع.. والشمس، وهذا الجزء من العالم.

وسكتت مقطبة جبينها، ثم أضافت: «ألا تعتبر هارفست مون بيتاً لك؟».

ـ لا. فقد بناه والداي، ثم آل إلى أمي بعد وفاة والدي. هي جعلته على حاله هذه، كتعويض عن فقدان أبي. إنه منزل ممتاز لأسرة، ولكن ليس لي. يمكن لماغ ووادي أن يعيشا فيه على الرحب والسعة، إذا ما أرادا ذلك.

ـ وماذا عن رالف؟

ـ وهو أيضاً، إذا شاء.

ونظر إلى حبة قريدس في يده مفكراً، ثم رفع نظراته إلى ڤيڤيان وقال: «لكن رالف لا يمكث أبداً لفترات طويلة هناك».

ـ أنت وماغ متشابهان جداً. لكن رالف مختلف عنكما. أنا واثقة من أن أمك شغوفة به وإن كانت لا تظهر ذلك.

بدا المرح في عيني ليتون، حين قال: «كانت علاقتي بماغ حميمة. ولم تكن أمي تنوي إنجاب المزيد من الأطفال. لهذا، أتى رالف بعد فترة طويلة. وأظنها تشعر بضرورة حمايته لأنه كان مختلفاً».

سألته ڤيڤيان بعد فترة صمت: «هل... كانت جيني تحب العيش في «هارڤست مون»؟».

ـ هذا ممكن، نعم. أظنها كانت تريد ذلك.

وهز كتفيه، فسألته: «لم حطمت قلبها، يا ليتون؟ إلا إذا كان العكس صحيحاً».

لمعت عيناه بشرارة غامضة، ثم قال متأملاً:

ـ أتراها ماغ، أم جيني نفسها، هي التي تركت لديك هذا الانطباع؟

لم تجب ڤيڤيان بل قالت:

ـ يمكنني أن أكون مستمعة جيدة. ولكن فقط إذا شئت أن تخبرني، كما أني

أتمتع بحدس صائب. في الليلة الماضية، مثلاً، كنت... لم تكن على ما يرام، فساورني شعور بأنك تحتاج إلى الابتعاد اليوم، مثلي أنا تماماً.

تشابكت نظراتهما، لكن نظراته بقيت غامضة.

ـ منذ ليلتين رفضت أن تعرفي شيئاً عن ذلك، يا ڤيڤيان.

حركت كتفيها بتململ وردّت: «أظنني فكرت منذ ذلك الحين بأننا يمكن أن نكون صديقين، ولكنك إذا لم تشأ...» قالت جملتها الأخيرة بهدوء، وهي تتأمل البحر.

ـ صديقان فقط؟

وعضت على شفتها وهي تضيف: «إنها البداية. إنها أفضل من كل ما تقوم به باسم «عصير كلوڤر» مثلاً».

لوى شفتيه، وقال:

ـ هل يعني هذا أنكِ عندما ستحصلين على اتفاقية العصير ستفكرين في إنشاء علاقة جدية، يا ڤيڤيان؟

عادت نظراتها لتستقر عليه وهي تبتلع ريقها، وأجابته بتلعثم:

ـ أنا... لا أدري، لقد سبق وهُجرت مرة، ولهذا، نعم، أظنني مجروحة بعض الشيء.

وسكتت ثم نظرت إليه بأسى مضيفة: «أعلم أن ما أقوله جنون، لكنه مفيد. إن كان لديك نقاط ضعف، فقد لا أشعر أني أدخل عرين الأسد دون أن أعرف ما ينتظرني».

تبدلت تعابير وجهه، ثم قال بابتسامة عريضة:

ـ أضمن لك أن الأسد لن يفترسك.

ـ كنت أتحدث بشكل مجازي.

فقال والابتسامة لا تزال على محياه: «أعلم هذا، حسناً»...

لكن ڤيڤيان قاطعته فجأة عندما لمعت في رأسها فكرة:

ـ ما قصدته هو أنّ زوجتك هجرتك، رغم رغبتها في العودة إليك الآن. كنت أتساءل فقط، ولأنك اختبرت هذا الشعور، ما إذا كنت تفهم ما أشعر

به. أكاد أموت خوفاً من أن يتكرر ذلك مرة أخرى.

قالت ذلك بصراحة مؤلمة وأكملت: «حسناً، يكون شعور الإنسان أفضل إن لم تعتمد سعادته على شخص آخر».

تبدد من وجهه كل أثر للمرح، وراح يتفرس فيها... تأمل الطريقة التي تحرّك بها عنقها، والتي تنقبض بها يداها، وظلال العذاب في عينيها البنيتين، وخطوط جسمها المتوترة. ثم سألها بهدوء: «كيف حدث هذا؟».

ـ كنت أعمل معه في وكالة غودمان. وكان هو أول...

ثم سكتت وعضت على شفتيها لتضيف بعد حين: «أول رجل ارتبطت به بعلاقة جدية. فقد فقدت أمي في طفولتي، ولم ينسَ أبي حزنه قط، وعشت طفولة غير مستقرة. لهذا نشأت وحيدة خائفة من.. أليس هذا ما أخبرك به ستان؟ إنه.. أحياناً أعتقد أنه يعرفني أكثر مما أعرف نفسي».

فقال ببطء:

ـ ليس تماماً. قال لي إنك يتيمة، وإنه أخذك تحت جناحه وكأنك ابنته بالتبني. كما أخبرني أنك قد تكونين عنيدة أحياناً، لفرط تحمسك لعملك. إذن جعلك ذاك الرجل تعتقدين أن علاقتكما تتجه إلى نهاية معلومة، ثم هرب؟

فقالت بشيء من الحيرة:

ـ نعم. لا، ربما تصوّرت علاقتنا أعظم مما هي عليه. فقد تعلّقت به جداً، وما كنت لأفعل هذا لو لم...

وسكتت ثم عادت تقول: «يبدو أنني تصورت مستقبلاً لعلاقتنا لم يكن يفكر فيه هو».

ـ هل ما زلت تحبينه؟

ـ لا. وإذا كنت تعني أني تعيسة، أشعر بالحرمان أو ما أشبه، فلا. هذا من الماضي، ولكن حينذاك كنت... تعيسة جداً.

حدق ليتون فيها مطوّلاً، ثم حوّل نظراته عنها، قبل أن يقول:

ـ بالنسبة إليّ كان الأمر مختلفاً. فأنا من طلب منها الرحيل، لكن وفي لحظة سخرية حمقاء، طلبت منها أن تدع الجميع يظن العكس.

فغرت ڤيڤيان فمها وسألته: «لماذا؟»

فقال: «هل نزيل هذه الفوضى عن المائدة أولاً ثم نحضّر القهوة لنرتشفها مع الحلوى؟».

ـ إذا شئت.

وهذا ما فعلاه. وبقيا في الداخل، لأن حرارة الجو ارتفعت فأخذت الشوكولاتة تذوب على الحلوى.

سكبت ڤيڤيان القهوة وقطعت قالب الحلوى. ثم جلسا وقد فصلت بينهما طاولة منخفضة. بادرته قائلة فجأة: «إذا بدّلت رأيك، ولم تشأ أن تخبرني، لا بأس».

نظر إليها متأملاً، ثم قال:

ـ لا، لم أغيّر رأيي. في الواقع... حسناً، أشعر بحاجة إلى القيام بذلك. تعرفت إلى جيني عن طريق ماغ، وكان ذلك بعد مرور ست سنوات على وفاة أبي، وكنت...

وسكت وسرح نظره إلى البعيد، ثم أكمل قائلاً: «.. كنت قد تحررت من أوهام الحياة».

فقالت وهي تنظر إليه من فوق حافة كوبها:

ـ لماذا؟

ـ أظنني لم أكن أتوقع أن أتحمّل مسؤولية شركة كلوفر بهذه السرعة، أو لم أشأ ذلك. ولا يعني هذا أنني كنت أريد أن أتخذ الطيران كمهنة لي. ولكن قبل أن يتوفى أبي، كنا قد قررنا إقامة مصنع للطائرات، وهذا ما كنت أريده حقاً، لا العصير ولا الشامبو ولا أي شيء آخر، ولكن كان هذا مستحيلاً.

انتظرت ڤيڤيان بصمت كي يكمل حديثه، وراحت تكوّن انطباعاً جديداً عن ليتون ديكستر. فكرت فيه وهو يترك القوات الجوية والأحلام التي داعبت خياله، ليواجه امبراطورية من الأعمال. كما تخيّلته فتى خالي البال، تكوّنت شخصيته وتغيّرت بسبب هذه المسؤولية الضخمة، وتساءلت عما إذا كان هذا هو سبب الناحية الحاقدة والساخرة من شخصيته.

ومع ذلك، لم يكن من الصعب أن تتخيّله عاشقاً مدمّراً يمكنه أن ينال ما يشاء. . . وأخيراً تابع يقول:

ـ كان الأمر مستحيلاً، لأن وضع الشركة كان مهزوزاً قليلاً بسبب موت أبي المفاجئ، و كذلك الوضع الاقتصادي العام آنذاك. وقد استلزم إنقاذها من الإفلاس الكثير من الجهد والعمل، فكيف يمكنني أن أفكر بالطيران؟

لفظ سؤاله الأخير بجفاء ساخر، فسألته جادة:

ـ هل تعني أن جيني دخلت حياتك حين كنت ضعيفاً نسبياً؟

فألقى برأسه إلى الخلف مفكراً، وقال:

ـ ربما. لكنني لم أكن أفكر في الزواج، وإن كنت منجذباً إليها. . .

ـ هذا ليس صعباً، فهي. . . جميلة جداً.

رفع ليتون رأسه ونظر إلى ڤيڤيان ساخراً:

ـ شكراً. هل يفترض أن أشعر بتحسّن؟ يمكن لأي رجل أن يواجه المشكلة نفسها.

فعبست، وأجابت: «آسفة. لم أقصد الاستعلاء عليك».

فضحك بهدوء، وقال:

ـ لعلك لم تصلي إلى هذا الحد يا آنسة فلوري. على أيّ حال، وقبل أن تصل الأمور. . . إلى ذلك الحد بحسب التطور الطبيعي لها، تزوجنا عندما اكتشفت أنها حامل، رغم أن هذا ما كان يجب أن يحدث عملياً.

وعندما رفعت ڤيڤيان حاجبيها، قال:

ـ كانت قد أخبرتني أنها تتناول حبوباً لمنع الحمل. ولكن الحبة قد تخذلك، أو هذا ما اعتقدته أنا. أما ما لم أنتبهْ له فهو الأزمة المالية الخانقة التي كانت أسرتها ترزح تحتها. كانوا، وما زالوا، رعاة ماشية.

فقاطعته غير مصدقة: ألم تكن تعرف ماضيها؟

ـ بلى، فهي من أسرة عريقة من غرب ويلز. لم نكن نعرفهم شخصياً، لكني اجتمعت بهم، طبعاً. وقد تركوا أثراً طيباً على أمي، مثلي تماماً، فاسم «ديكون» مذكور في سجلات الأسطول الحربي. ولاحظت أنهم كانوا أغنياء، في

ما مضى. أما احتمال إفلاسهم وإمكانية أن يخسروا مزرعتهم، فهو سر لم يبوحوا به لأحد. كما كانت والدة جيني تتظاهر بأنهم في أحسن حال وذلك حتى النهاية المرّة.

فسألته بحزن: «وكيف حدثت النهاية المرة؟».

ـ إنها سلسلة من الأحداث. أجهضت جيني بعد أن تزوجنا بأسابيع. . وكان قد مرّ على حملها ثلاثة أشهر. كان مقدراً لها أن تخسر الجنين بحسب الأطباء. لكن لم أكن واثقاً تماماً من ذلك. كانت. . . تصرفاتها غريبة، بعد عودتنا من شهر العسل، إذ بقيت أعصابها متوترة. وذات يوم، أقبلت باكية، وأخبرتني أن أباها يهدِّد بالانتحار بسبب مشاكله المالية، ثم توسلت إليَّ لأساعده. وحينذاك، بدأت أتساءل.

فعادت تسأله بحزن: «وما الذي دفعك إلى الإقدام على ما فعلته؟»

ـ وجدت رسالة من أمها، ولم يكن فيها أي التباس. ذكرت فيها أن حالتهم ميؤوس منها. ولكن بما أني تزوجت جيني، بالرغم من خسارتها للجنين، فلا بد أنها أصبحت واثقة مني، ويمكنها أن تطلب مني مساعدتهم لدفع رهن المزرعة.

ـ آه. .

فقال بجفاء:

ـ وكما قلت أنت، ولأفيها حقها. لقد تعرضت لكثير من الضغط من أهلها، ولا سيما من أمها. كان اسمهم ذا ماض مجيد. وكان لها ثلاث أخوة أصغر منها سناً، ما زالوا في المدرسة أو الجامعة. وأظن أن انعدام الكرامة بدا واضحاً في وجه جيني نفسها.

ـ لكنني لا أفهم لما تساندها أسرتك؟

فأجاب: «لأنهم لا يعلمون ما جرى».

ـ وهل دفعت الرهن؟

ـ آه، نعم. كان هذا جزءاً من الاتفاقية، وقد سرتهم جميعاً. إذ نصّ اتفاقنا على ألا يعلم بذلك أحد، حتى ولا ماغ أو أسرتي.

www.elromancia.com

ـ فهمت، لهذا طلبت منها أن تفهم الجميع أنها هي التي تركتك.

ـ تماماً. أما الجزء الآخر من الاتفاقية فنص على أن يكون دفع الرهن عن الأسرة مقابل الطلاق.

وظهر الذهول على وجه ﭬيڤيان.

فقال، وقد ارتسم على وجهه طيف ابتسامة: «كان يمكن للأمور أن تسوء أكثر. ولكن أن أكتشف أنني كنت مخدوعاً ومغفلاً لم يكن بالأمر السهل».

فازداد الذهول في عينيها، وقالت: «أنت لا تعني أنها حاولت الحصول على المزيد من المال منك؟».

ـ لا. لكني، آنذاك، كنت، من الحرص، بحيث لم أسمح لها بذلك. كما اكتشفت أنها لم تستعمل وسائل منع الحمل عمداً. إن هذا النوع من الغش واستغلال حياة شخص آخر لتحقيق المآرب، جرحني في الصميم. وهذا ما لا أستطيع الصفح عنه أبداً.

فتنفست ﭬيڤيان بعمق، وسألته:

ـ ولكن قل لي يا ليتون، كيف استطاعت أن تخدعك؟ ليس في مسألة الحبوب، ولكن في مسألة حبها لك؟

ساد صمت طويل. عادت ﭬيڤيان لتقول بعده هامسة: «هل أحببتك في تلك الفترة؟».

فأجاب باقتضاب: «هذا ما قالته».

ـ وهل فكرت في أنه يمكن للحب أن يجمعكما إلى الأبد بالرغم مما فعلته؟

ـ نعم.

ووضع فنجانه على الطاولة، ثم أضاف: «وأنا آسف إذا فكرت هي في الأمر نفسه. لكني أشك في ذلك، فأنا أعلم أن هذا غير صحيح».

وعندما رآها تفتح فمها، قال محذراً، «ﭬيڤيان، إياك وإلقاء محاضرة حول الكبرياء».

سكتت، لتقول بعد لحظة: «بصفتي فتاتك المأجورة، فأنا مؤهلة لأن أشكك، يا ليتون».

وترددت حين رمقها بنظرة ساخرة ثم قالت: «شكراً لأنك أخبرتني كل هذا».

نظر إليها بارتياب، فقالت بلهجة منطقية: «حسناً، يجب أن تعترف أن هذا يجعل الأمور مريبة نوعاً ما».

حوّل نظراته عنها، ثم عاد ينظر إليها قائلاً:

ـ أحد الأسباب التي جعلتني أستخدمك، يا ﭬيڤيان، هو عدم ثقتي بالحصول عليك بطريقة أخرى. إسمعي.

وبسط يديه: «كان ذلك تصرفاً من وحي الساعة، أعني أن أحملك جزءاً من المسؤولية، مع الأسف. منذ اللحظة التي دخلت فيها إلى مكتبي حافية القدمين، تملكني الفضول نحوك».

فقالت بشيء من المرارة:

ـ ذاك الحذاء الذي كلفني مبلغاً ضخماً، لم يكن يستحق سنتاً واحداً، كما سبب لي الكثير من المشاكل.

ـ هذا وقف على النتيجة التي حصلت عليها بسببه.

هزت كتفيها ثم قطبت جبينها، وهي تنظر إليه. إذ أدركت فجأة أن تغيراً ما قد حصل، وأنه انتقل إلى موضوع آخر. ثم خطر لها أنهما وثقا ببعضهما، وتكلما في أمورهما الشخصية. ولكن، وبدلاً من أن يعزز ذلك علاقتهما، فتح فجوة بينهما وسعتها كلماته الأخيرة.

قضت كلماته على شعور الصداقة البسيط الذي نشأ بينهما في فترة الصباح وأثناء الغداء. كلمات تناقضت والإحساس الذي جعله يرغب في أن يريها «استراحته»، كلمات أثارت في داخلها قشعريرة غريبة.

أتراه ندم لمصارحتها حول زواجه الفاشل؟

ـ ﭬيڤيان؟

استفاقت من تأملاتها مجفلة، وقالت: «آسفة... نعم؟».

ـ أتريدين أن تستحمي وتغيري ملابسك قبل أن نعود؟

ـ آه، نعم. شكراً.

www.elromancia.com
منتدى روايات رومانسية

ولكنها شعرت مجدداً وكأن ماءً بارداً انسكب عليها. وربما بدا هذا عليها، إذ ظهرت الرقة في عينيه وهو ينظر إلى وجهها. إلاّ أنه حوّل نظراته على الفور ونهض واقفاً، ثم قال:

ـ سأريك غرفة نوم الضيوف.

* * *

استغرق حمامها وقتاً طويلاً. لأنها حاولت أن تتخلص من الملح والرمال التي علقت بجسمها، ومن الشعور الغريب الذي انتابها. أحست أنها أشبه بحبة رمل على الشاطىء، تافهة وحيدة، تتقاذفها الأمواج. ثم ارتدت الثياب التي أحضرتها معها، سروالاً قصيراً وقميصاً قصير الكمين.

جلست خلف طاولة الزينة وحملت بيدها الفرشاة لتسرح شعرها، لم تكن غرفة النوم تحتوي إلا الضروري من الأثاث. لكنها لم تكن رخيصة أو قبيحة.

نظرت ڤيڤيان إلى صورة الغرفة المنعكسة في المرآة، وفكرت في أنها تحتاج إلى لمسة ما... لمسة تمنحها لوناً وحياة. لكن عينيها ضاقتا حين وجدت نفسها تفكر، معذبة، في ما يمكن أن يقودها إلى مفتاح تحلّ به لغز ليتون ديكستر.

وفي هذه اللحظة بالذات، قرع الباب ودخل. ولأن أفكارها انحصرت فيه، عجزت عن النطق، وراحت تنظر إليه في المرآة. بدا وكأنه أنهى حمامه للتو، بشعره المبتل القاتم الممشط، وقد ارتدى سروالاً قصيراً وقميصاً أزرق.

رأته يقطب جبينه فتمنت لو تستطيع أن تقول ما يخفف عنه، ولكنها بقيت عاجزة. وفي الواقع، حدث ما لم يكن في الحسبان. اغرورقت عيناها بالدموع، فخفضت نظرها بسرعة، ثم رفعت الفرشاة بيدها.

ـ ڤيڤيان؟

فأجابت وهي تشهق بصوت منخفض: «لحظة واحدة... شعري!»

وضع يده على يدها ثم أخذ الفرشاة منها. أدارها نحوه، وسألها: «ماذا حدث؟».

فتحت فمها لترد عليه، فشعرت بدوار قوي مما أنقذها من ضرورة الكلام.

ـ آه، لا شيء. لعله المحار والقريدس والشوكولا. لقد أكلت بنهم.

سكتت، وتنفست بعمق. لكن الدوار عاودها مجدداً، فوضعت رأسها بين يديها بارتباك ويأس.

جذبها لتقف على قدميها، مقاوماً كل محاولاتها المذعورة للإفلات منه. وحين أصبح الدوار أسوأ أمرها: «قفي ثابتة». ثم عاد يمسك بها ويضمها إليه ويمسح بيده على شعرها، وبعد مرور خمس دقائق، شعرت بتحسن، فأخذت نفساً عميقاً. وهمست تقول:

ـ لا أدري كيف تفعل هذا، يا ليتون. ولكني أشكرك، ولن أهتم بشعري. سأجعده تحت القبعة..

أبعدها قليلاً عنه ثم تفرس في عينيها:

ـ ما الذي جعلك حزينة؟

ـ أنا..

وتنحنحت.

ـ كنت تبكين... لماذا؟

أغمضت عينيها وأطلقت آهة خفيفة، وهو يضم وجهها بين يديه، آهة صغيرة بائسة:

ـ لا أدري. لا شيء.. حقاً.

فقال برقة: «أخبريني، انظري إليّ يا ڤيڤيان».

رفعت أهدابها وكانت مبتلة، فقالت بصوت خفيض: «لا أستطيع. أنا نفسي لا أعلم... ولهذا..».

ـ لا بد أن لديك فكرة.

فابتلعت ريقها، وقالت:

ـ أنا... حسناً، شعرت وكأني حبة رمل على الشاطىء. يتملكني أحياناً شعور بالوحدة. وهذا كل ما في الأمر.. ولكنه شعور لا يدوم.

وهزت كتفيها ثم أضافت: «أظنها من الأوقات الغريبة التي أكون فيها تلك الشقراء المصابة بالدوار التي رأيتها في البداية».

حاولت أن تبتسم لكنها لم تستطع. همس لها كلمات لم تسمعها ثم عانقها.

www.elromancia.com

وتمتمت عندما ضمها بين ذراعيه: «آه، لا، أرجوك، دعني».

ـ لسبب ما، لا أحتمل رؤيتك حزينة.

فقالت بعجز: «هذا يزيد الأمر سوءاً».

لكنه لم يهتم بما قالته، بل ضمها إليه أكثر. فشعرت بأحاسيسها تدفعها إلى أحضانه، كما يدفع المدّ المياه نحو الشاطىء. تملكتها مشاعر لم تختبرها من قبل، فأحست ببهجة عجيبة عجزت عن مقاومتها.

أحست بين ذراعي هذا الرجل الضخم بأنوثتها وصغر حجمها. وأدركت تأثير الرجولة المتدفقة منه على حواسها، فاستسلمت لعناقه. حدّقا في عيني بعضهما البعض، فشعرت ڤيڤيان وكأنها تغرق في بحر عينيه، إذ راحتا تنطقان بشوقه إليها. وكأن ليتون ديكستر لا يفكر سوى بشخص واحد.. هو ڤيڤيان فلوري.

وترك شعورها بأنها الوحيدة في عالمه تأثيراً بالغاً عليها.

انحنى نحوها، ليأخذها بين ذراعيه، وأحاطت عنقه بذراعيها، هامسة:

ـ أنت كالشجرة أحياناً، قوي جداً.

ـ وأنت كعروس البحر، تغنين لي أغنية لا أستطيع مقاومتها.

جمدت ڤيڤيان مكانها، وأنزلت يديها ووضعتهما على صدره، وهي تحدق في عينيه، ثم رمشت بعينيها، إذ أعادتها كلماته هذه إلى شيء من التعقل. كان قد قال شيئاً مشابهاً من قبل، وهي تتذكره جيداً. قال أن عليه أن يكون قوياً ليتمكن من مقاومة إغراء اللذات الأرضية. وقالها بلهجة الازدراء.

ثم هزتها قناعتها الذاتية بأن ما جرى ينبغي أن يكون اختباراً. اختباراً لاستقامتها، اختباراً لقدرتها على المقاومة، حتى وإن كانت تحتاج إلى شيء منه. أصبحت تعرف الكثير عنه. القصة الحقيقية لزواجه من جيني ديكون والتحذير من نتيجة تورطها معه، فقد أوشك قلبها أن يتحطم ذات يوم.. ولم تكن واثقة من أن هذا لن يتكرر، وبشكل أسوأ...

اضطربت وابتعدت عنه. فسألها وقد ضاقت عيناه: «لماذا؟».

ـ أنا...

وتلعثمت، ثم تنهدت وقالت: «ليتون.. أنا...» ولكن لم تستطع أن تعبرّ عن أفكارها بالكلمات.

وقف يتأملها وهو لا يزال ممسكاً بها، ثم قال بشيء من السخرية:

ـ لن أحاول إغواءكِ، على أي حال، يا ڤيڤيان؟

توهج وجهها، وراح السخط يغلي في داخلها، فقالت: «لم أكن أنتظر منك ذلك».

فرفع حاجبيه، قائلاً:

ـ أياً كان ذاك الشخص الذي صدمك، فقد خلف فيك جروحاً يصعب شفاؤها، صدقيني.

حاولت أن ترفع يدها لتصفعه فأمسك بيدها، وهو يهز رأسه ساخراً:

ـ ألا يمكنك ضبط نفسك، يا ڤيڤيان فلوري.

فقالت متلعثمة: «ما كان عليك.. ما كان عليك.. أعني».

فرد ببطء:

ـ الثأر مني؟ لا، حسناً، ليس بهذه الطريقة. أعلم أنك لا تنفرين مني. يبدو أنك أحرزت تقدماً في هذا المجال.

أطبقت ڤيڤيان أسنانها وأغمضت عينيها بشدة، ثم قالت بعنف:

ـ كفاك سخرية، يا ليتون ديكستر! أنت من يتغير ويتبدل ويتلون. أنت من أحضرني إلى هنا وحدثني عن زواجه ثم منعني من التحدث عنه! أنت الذي قارنني بعروس البحر، وكأن مهمتي تنحصر في إغوائك. أنت من أخبرني أنه عليك أن تكون قوياً لتتمكن من مقاومة الملذات الأرضية التي أمثلها أنا. ولن أذكر أنك في مزاج ملائم يوماً، وخلاف ذلك في يوم آخر...

سكتت وراحت تتنفس بعمق، وقد اغرورقت عيناها بالدموع مجدداً رغماً عنها. وأخذت تمسح دموعها بضيق، وهي تقول: «لا أدري ما الذي حصل لي. لكن إن كانت هذه هي الطريقة الوحيدة للحصول على اتفاقية كلوڤر، فالتعامل انتهى بيننا».

ختمت كلامها بكبرياء بالرغم من دموعها الجارية.

www.elromancia.com

- خذي.

تركها ودس في يدها منديلاً كبيراً أخرجه من جيبه. ثم عاد يضع ذراعه حولها بينما راحت تمسح دموعها وتحبس أنفاسها لتتجنب الدوار الذي هددها من جديد. وعندما هدأت أمسك بيدها ليقودها إلى غرفة الجلوس، وقال بجدية وحزم: «إجلسي، سأحضر لك ما تشربينه».

غاصت ڤيڤيان في الأريكة، كانت ما تزال ترتجف لفرط انفعالها فتناولت منه فنجان الشاي الذي أحضره شاكرة. وكان قد سكب واحداً لنفسه فسار نحو الباب الزجاجي ووقف يحدق في البحر. ثم استدار نحوها قائلاً: «المشكلة هي أنني ظننت أننا من نوع واحد».

فنظرت إليه بعجز، وسألته: «من أي ناحية؟».

أخذت نظراته تتأملها، وقال برزانة: «بإمكاننا أن نتحكم بأنفسنا».

فأخذت تطرف بعينيها، وهي تقول: «لم أفهم ما تعنيه».

- كأيّ شخصين ينجذب أحدهما إلى الآخر، إنما لا يريدان الالتزام بعهد طويل الأمد.

فسألته غير مصدقة: «هل هذا ما فهمته، يا ليتون؟»

فقطب جبينه، وقال:

- لقد أعطيت بقدر ما أخذت، ووافقت على ذلك.

واستقرت نظراته على الخاتم في إصبعها.

فغرت فمها ولم تنطق بأي كلمة. وبعد لحظة، جلس بجانبها، فنظرت إليه من خلال أهدابها:

- لم أكن أنوي التورط معك، وقد أخبرتك بذلك..

- وبرهنت ذلك الآن...

وكان في صوته سخرية ومكر شيطاني.

ارتجفت من شدة غيظها. وفكرت في أن تعلمه كيف كادت تنجرف وراء مشاعرها، وكيف ردعتها كلماته وجذبتها بعيداً عن حافة المجهول. لكن الحكمة تغلبت عليها:

- آه، إذا أعطيت بقدر ما أخذت، فلهذا سببان. أولاً، لأبرهن لك أنك لست ذاك الرجل الذي لا يقاوم، وثانياً من أجل غودمان.

سكتت وعلقت الكلمات على شفتيها مجدداً، لن تطلعه على ورطتهم المالية، ولن تخبره بمدى حاجتهم للمال الذي ستكسبه من الإتفاقية. لا سيما بعد أن سمعت منه قصة جبني. وارتجفت حين راودتها هذه الفكرة، ثم تابعت تقول بصعوبة:

- إذن، وبالرغم من... انجذابك إلي، لم تفكر قط بأي نوع من الإلتزام؟

- نعم.

فسألته، وهي غير قادرة على إخفاء الألم في صوتها: «و... ألم يغيّر أي شيء في رأيك هذا؟».

فأجاب: «فيك أشياء كثيرة محببة. لهذا أكره أن أؤذيك».

أخذت نفساً عميقاً، وأحست وكأنها كشفت أوراقها كلها.

فقالت وهي ترتعش: «ما الذي جعلك تغير رأيك؟»

- تصرفاتك. كفاحك حتى النهاية، ما أخبرتني به اليوم، والذي يفسر سبب مقاومتك لي.

أخذ يعبث بالخاتم في إصبعها وأضاف: «أنت الفتاة التي تحطم قلبها، يا ڤيڤيان».

وحدّق في عينيها فجأة، فقالت غير قادرة على تجنب عينيه:

- نعم، لهذا السبب كنت واثقة من قدرتي على التعامل معك، يا ليتون. كنت مخطئة، لكن جزءاً من مشكلتي هو... أنني أشعر أحياناً بالأمان معك. فأنسى تلك الجبانة في داخلي، تلك التي تخاف ركوب الطائرة والعلو والمصاعد، والتي تصاب بالدوار وتسقط في الأنهار وتفقد حذاءها.

ترك يدها لكنه لف ذراعه حول كتفيها واستند معها إلى الخلف وهو يقول: «وهذا ما جعلني أخبرك بالحقيقة عن جبني. لقد قررت، أثناء الغداء، أن الوقت حان كي نوقف هذه المهزلة. ظننت أن أقل ما أدين لك به هو تقديم تفسير. لكن نواياي الطيبة لم تمنع تأثري عند رؤيتك محرومة».

www.elromancia.com

سألته وهي ترتجف: «هل عدم رغبتك. . . بالالتزام هو بسبب جيني»؟

ـ نعم ولا. يفترض أن أتوخى الحذر بعد تجربتي مع جيني، وهذا أمر طبيعي. لكن المشكلة الحقيقية هي أني لست الرجل المناسب لفتاة مثلك.

ـ وكيف ذلك؟

ـ أظن أن آخر ما تحتاجينه هو رجل دائم التنقل والترحال مثلي، لا سيما الآن وقد أوشكت على تحقيق أحلامي.

بدت مشوشة. وإذ بها تدرك فجأة ما عناه، فسألته: «مصنع الطائرات؟»

ـ نعم. سيتطلب هذا الكثير من الوقت والجهد، وسأنشغل به لسنوات.

حدقت في عينيه الزرقاوين، ومضت لحظات طويلة شعرت خلالها بالشكوك والمخاوف تساورها إزاء هذا الرجل. تذكرت مشاعرها وهي بين ذراعيه، وكيف استطاع أن يلهب أحاسيسها، وأن يجعل الشوق يكتسح كيانها بنظرة منه. كما تذكرت كيف ضحكا معاً واستمتعا بقضاء الوقت معاً. . . فأحست وكأن عالمها ينهار من حولها كمنزل من ورق.

وأرغمها هذا على مواجهة الواقع. وتبيّن لها أن ليتون ديكستر كان على صواب في بعض ما قاله عنها، لكنه أخطأ في نقاط أخرى، وإلا لما تملكها هذا الشعور بالحزن والكآبة، وهذا الإحساس بالوحدة الآنية. . والهجر.

وسألها بهدوء: «إتفقنا؟»

تباً لك، يا ليتون ديكستر. واغرورقت عيناها بالدموع مجدداً. ها هي جالسة ورأسها على كتفه من جديد وقلبها محطم، ثم يوجه إليها مثل هذا السؤال. . . أين كرامتها وكبرياؤها؟ وكيف تستطيع استعادتهما؟ كيف يمكنها أن تنهي هذه المسألة الآن وإلى الأبد؟

فقالت بصوت أجش:

ـ نعم، حسناً، سأكون مجنونة لو فكرت في المنافسة. ولو كانت مع أي شيء آخر عدا الطائرات، لجرّبت حظي. لكن، حسناً لقد فهمت!

استقامت في جلستها عندما هبّ لنجدتها إحساس لعله الكبرياء. . وأخذت تتساءل عما إذا كان أحسّ بأنها تحاول استعادة كرامتها، وعالمها أجمع،

بهذه الشجاعة التي تظهرها.

نظر إليها متأملاً، ولكن قبل أن ينبس ببنت شفة، بادرته بالقول:

ـ بالمناسبة، أفضّل ألا أحضر الحفلة الراقصة هذه الليلة. أظنك على حق، حين قلت أنه علينا إنهاء هذه المسألة الآن وإلى الأبد.

ثم خلعت خاتمه وناولته إياه.

أخذ يقلّبه بين أصابعه ويتفحصه وقد قطب جبينه. ثم سألها:

ـ هكذا. . دون ندم أو أسف؟

ورفع عينيه فجأة ينظر في عينيها، فأجابت ببساطة: «بل أشعر بالإثنين معاً، لكني سأتغلب على ذلك».

ثم ابتسمت له بمرح وأضافت بأسى: «وأقول لك صراحة إني سأرتاح لو. . . عدت إلى التعقل. فمنذ قابلتك، وأنا أشعر وكأنني (أليس في بلاد العجائب) أو كأنني في مستشفى مجانين».

ومضت عيناه ومضة غريبة، لكنه اكتفى بالقول: «أمتعتك في «هارڤست مون»».

سكتت محبطة، ثم أشرق وجهها وهتفت: «ربما يمكنني قضاء الليلة هنا. أو في مكان آخر في «بالم بيتش»، ثم تقوم أنت بإرسال أمتعتي غداً. وهكذا، يمكنني أن أرحل من دون مشاكل».

ـ أفضّل أن تأتي إلى الحفلة الراقصة.

حدّقت فيه وتذكرت فجأة كيف بدا تلك الليلة حين تناولا العشاء في «بريسبين». يومها كان ليتون ديكستر الصلب البارد.

ـ ولكن لماذا؟

فهز كتفيه، وقال: «لم ننته من موضوع اتفاقية «عصير كلوڤر»».

ـ ماذا؟

ـ لم تحصلي عليها بعد، يا ڤيڤيان، وأنا أعرف حاجة غودمان الماسة إليها.

لم تملك سوى أن تحدق فيه بذهول بالغ وغضب واضح على وجهها. بينما تابع يقول بجدية:

ـ فقد خسرتم الكثير من عقودكم، مؤخراً.

فاتهمته بصوت خفيض: «هل كنت تعلم؟ كنت تعلم منذ البداية؟».

ـ نعم، وأي فرق يحدثه هذا؟

فوقفت ڤيڤيان وحملقت فيه:

ـ أتعني أنك كنت تعلم السبب الحقيقي الذي جعلني أشترك في هذه المهزلة السخيفة، يا ليتون؟

ـ بل هو أحد الأسباب، نعم. والسبب الآخر هو أنك عجزت عن المقاومة والرفض.

ـ سأخبرك بشيء ما! كان هذا السبب الوحيد الذي منعني من ترك مكتبك حين تحدثت أول مرة عن الفتيات والخوخ.

فذكرها بمرح: «ولأنك كنت حافية القدمين».

ـ لم يكن لذلك أي أهمية. كنت لأعود إلى «بريسبين» حافية القدمين لو لم أفكر في مصلحة غودمان.

ـ حسناً، يا ڤيڤيان. هنا تكمن مصلحتك في إنقاذ وكالتك. ولا بد أنك تعتبرين الرقص متعة مقارنة مع السير إلى «بريسبين» حافية القدمين.

إبتلعت ريقها وأحست بغضب عارم، لم تختبره من قبل. شعرت برغبة في الثأر منه لخداعه لها. كيف يمكن لهذا الرجل أن يثير مشاعرها بهذا الشكل؟ كيف يحافظ على هدوئه بعد أن اكتشف مشاعرها الدفينة ونبذها؟ وها هو يبتزها الآن... وأخذت نفساً مرتجفاً، وقالت:

ـ لا تظن إني لا أعرف سبب فعلتك هذه، يا ليتون.

رفع حاجبيه، وانتظرها كي تفصح عن قصدها. تأملت هذا الطول الفارع وهذه القوة، كل الأشياء التي ظنت أنها تحبها فيه. هاتان العينان الداكنتا الزرقة وتلك الابتسامة الكسول، قوته ورقته، الشعور بالأمان معه. إنه الشخص الوحيد الذي ساعدها في التغلب على مخاوفها وعلى شعورها بالغثيان... وها هو الآن أمامها بهذا الشكل! أغمضت عينيها للحظة، ثم تابعت تقول:

ـ سأخبرك. أنت بحاجة الليلة لدرع واقي، أليس كذلك، يا ليتون؟ فقد

تكشفك هذه الحفلة على حقيقتك أمام جيني وهي في أبهى حلّتها. وليس هذا وحسب... فقد تكشفك أمام زوجتك السابقة التي تستغل أخاك كي تثير غيرتك.

تشابكت نظراتهما طويلاً. ظهر الغضب جلياً في عينيها، في حين أن عينيه لم تحملا أيّ تعبير. ولكن متى استطاعت أن تقرأ في عينيه ما يريد إخفاءه؟

ـ أتظنني لم ألاحظ ما يجري بينهما في الأمس؟ أتظنني لم أدرك أنهما سبب رغبتك في الابتعاد عن المنزل اليوم؟

وقف، فبدا كالمارد أمامها. لكن ڤيڤيان لم تتراجع خطوة واحدة، بل أكملت كلامها: «فهل تخطط لاستغلالي في إثارة غيرتها هذه الليلة، يا ليتون؟ لم لا تعترف بذلك؟ فعندها أحدد موقفي».

***

٦ ـ الجزرة والحمار

ـ يمكنك أن تتخذي الموقف الذي تريدين، يا ڤيڤيان. ولكن إذا كنت تريدين الحصول على اتفاقية «عصير كلوڤر»، فستعودين معي إلى «هارڤست مون» الليلة.

قال كلماته هذه بلطف ولكن بطريقة مسمومة بعثت القشعريرة في جسمها.

ـ وإذا. . رافقتك؟

فابتسم ابتسامة مصطنعة، وقال: «عندها أوقّع الإتفاقية».

واحتارت حين سمعت نفسها تقول: «ماذا عن باقي أيام الأسبوع حتى يوم الزفاف؟».

فنظر إليها ساخراً، وقال:

ـ هل تعرضين عليّ المساعدة حتى يوم العرس؟ أوترضين أن تستمري في هذه اللعبة، التي قذفت بها لتوّك في وجهي؟ هذه تضحية لم أتوقعها. إلا إذا. .

وسكت ثم أخذ يتأملها، قبل أن يضيف: «إلا إذا كنت تسعين للحصول على مزيد من المال بطريقة ملتوية، يا ڤيڤيان!».

عضت على شفتها لتوقف سيل الكلمات التي خطرت ببالها. وأخذت تقاوم رغبة تملكتها، رغبة في صفعه. لكنها قالت بعد حين:

ـ لم يخطر الأمر على بالي أبداً. لكن بما أنك ذكرته. . فلم لا؟ وما فائدة أن تثير غيرتها لليلة واحدة وترسلني بعدها إلى بيتي ذليلة؟ بإمكاني الآن، وبعد أن عرفت حقيقة الموقف، أن أؤدي دوري بشكل أكثر إقناعاً. فتتمتع بالأمر مقابل

ما أنفقته من مال إذا كان هذا ما تريده. ترى أن. . .

فقال بخشونة يحذرها:

ـ ڤيڤيان.

ـ دعني فقط أنهي حديثي. أعترف أنني لم ألعب دوري، كما يجب، لأنني كنت أتخبط في الظلام.

وابتسمت لتخفي حنقها، ثم أضافت: «آه، نعم، يا ليتون. وبما أني اطلعت على حقيقة الوضع يمكنني حتى نيل جائزة «الأوسكار» للأداء الجيد».

رأته يتململ فجأة، فأجفلت لا إرادياً، رغم أنها لم تحوّل عينيها عن عينيه. ثم رأته يسترخي، فشعرت بالارتياح. أحست بسعادة جنونية حين أدركت أنها أغضبته، وإن ارتاحت حين شعرت أن حدة هذا الغضب قد تراجعت. ومع ذلك لاحظت أنها تحبس أنفاسها في انتظار ما سيحصل. . .

قال بجفاء:

ـ لا بأس. «عصير كلوڤر» مقابل الأوسكار لنجاحك في دورك هذه الليلة. وقد نتناقش في الأمر في ما بعد. لكني، في الواقع، قررت أن أدّعي أني مضطر للمغادرة لاحقاً بسبب العمل. لكن ماغ لن تسامحني أبداً إن لم أحضر حفلة الليلة. فهذه أهم ليالي هذا الأسبوع. لكنها ستتغاضى عن غيابي بقية أيام الأسبوع.

لم تستطع إخفاء خيبة أملها، وزاد في ذلك ضحكة رقيقة، بدرت منه حين قرأ تعابير وجهها.

وسألها بكسل: «أتشعرين أنك وقعت في الفخ الذي تنصبه لغيرك؟»

ـ وقعت في شيء ما، لكنك البادىء.

ـ نعم، أنا المذنب.

كانت ملامحه ساخرة وباردة، فيما راحت عيناه تتأملانها، وأضاف: «جاهزة؟».

شدّت ڤيڤيان قبضتي يديها وفتحت فمها. ولكن حين تراءت لها صورة ستان غودمان، سكتت ولم ترمِ باتفاقية «عصير كلوڤر» في وجه لينون ديكستر.

بل أجابت: «نعم».

ـ لا تنسي خاتمك!

وأعاده إليها.

***

في الواقع، كان أمامها ساعتان لتستعد للحفلة، وكانت رحلة العودة سريعة.. فلم يتوقفا لتأمل المناظر في الطريق، ولم يتبادلا الأحاديث. وكان في المنزل هرج ومرج، فهربت إلى غرفتها دون أن يلحظها أحد. وغاصت في فراشها، وهي تشكر الله على هاتين الساعتين من الراحة. إذ كانت تشعر بالاضطراب والإنهاك، وكأن مصائب الدنيا قد نزلت على رأسها. كما أخذت تعنّف نفسها على ما فعلته، وما قالته. تقلبت في فراشها، وأسندت خدها إلى يدها ثم راحت تحدق في السقف.

أخذت تتساءل عمن يستطيع أن يلومها. فجيني كانت على حق! حب ليتون ديكستر يحطم القلوب. وتساءلت عما كان ليحدث لو اعترفت له بحبها الليلة مثلاً؟ هل كان سيكتفي بإعطائها اتفاقية كلوڤر وبالتربيت على رأسها؟

تململت في فراشها، وتمنت لو لم يكن لهذه الإتفاقية أو وكالة غودمان أي وجود، فقد عقدا الأمور. ومن جهة أخرى، كانت واثقة من أنها لم تخطئْ حين رفضت الخضوع لليتون. ولا بد أنّ ما جعلها تعود إلى المنطق والعقل هو قناعة راسخة في أعماقها.

جلست فجأة في فراشها. وعبست كي يصفو ذهنها، ثم خطر لها أنها إذا استطاعت أن تفصل العمل عن الأمور الشخصية، وأن تعترف بحبها لليتون، فهل سيتمكن هو من أن يفعل ذلك، خصوصاً بعد جيني ديكون؟ وارتجفت وهي تفكر في هذا الأمر. أم أنه حقاً من الرجال الذين لا يحبون الزواج والارتباط بامرأة؟ أو أن الأمر أبسط، وهو ما زال يحب جيني... رغم كل ما جرى؟ أخذت تفكر في ذلك وتتأوه. وكأنها شجرة في مهب الريح، تتساقط أوراقها الخريفية، لتتركها عارية، ضحية العوامل الخارجية.

اغرورقت عيناها بالدموع. فمسحتها وهي تفكر بأسى أنها ذرفت اليوم

دموعاً لم تذرفها منذ سنوات. لكن حبه لجيني هو التفسير الوحيد لما جرى. وهذا ما واجهته به منذ ساعة، وما يفسر سبب بقائها في «هارڤست مون».

لم تثر هذه المرأة إعجابها. ولا يعود السبب فقط إلى أنها أوقعت ليتون في شباكها، بل لأنها تستغل رالف. ولكن من تكون هي، على أي حال، كي تدين امرأة أخرى لأنها أحبت ليتون ديكستر؟ وإن كانا يحبان بعضهما بعضاً بالرغم مما حدث.. فمن هي كي تنصب نفسها قاضياً وتدينهم؟ لقد نبذها اليوم بشكل جليّ، رغم رقته.. وذلك من أجل مصنع طائرات.. فماذا ستفعل الليلة؟ أخذت تتساءل بشكل محموم، ثم جلست في الحوض فجأة وقد اتسعت عيناها. وراحت تحدث نفسها بصوت مسموع:

ـ لكن هذا سيفقدك اتفاقية «عصير كلوڤر» بكل تأكيد.

ثم أجابت نفسها: «وقد حان الوقت كي تواجهي الحقيقة. وضعتك هذه الإتفاقية في موقف صعب للغاية. لكنها لن تجعلك تتخلين عن الأخلاق والقيم، يا ڤيڤيان فلوري. فهي ليست الإتفاقية الإعلانية الوحيدة في العالم. آه، كم كنت حمقاء.

***

ارتدت ڤيڤيان ثوباً من الحرير الخالص، ذا لون وردي فاتح. يبدأ من فوق صدرها ثم يضيق عند خصرها ووركيها، ليصل بعد ذلك حتى كاحليها. كان قماش الثوب الحريري ناعماً، يصدر حفيفاً كلما تحركت. أما تفصيل الثوب فأبرز أنوثتها ورشاقة قوامها. تزينت بالحلية الوحيد التي تملكها، والتي نادراً ما تضعها، وهي عقد من اللؤلؤ ورثته عن أمها. كان العقد ملفتاً إذ علقت لآلئه الضخمة في سلسلة فضية، بشكل متباعد.

كما انتعلت حذاء بسيطاً، بكعب معتدل، بقماش كقماش الثوب الحريري. وربطت شعرها إلى الخلف بشريطة، مما جعلها تبدو مختلفة وغامضة بعض الشيء، وهذا ما كانت تريده حقاً، أن تبدو فتاة مختلفة الليلة... وعندما دخلت الخادمة لتسألها إن كانت تحتاج إلى مساعدة، طلبت منها ڤيڤيان بعض أدوات الزينة.

سارعت الخادمة إلى إحضار مستحضرات التجميل. وساعدت ڤيڤيان في إكمال زينتها. فوضعت ظلاً خفيفاً فوق عينيها، والقليل من حمرة الخدود، واستخدمت أحمر شفاه يميل إلى اللون البرونزي.

قالت الخادمة بليندا بحماسة: «تبدين مختلفة للغاية، لا بل رائعة».

ـ حسناً، فهذه حفلة راقصة. والآن، ماذا عليّ أن أفعل؟

ونظرت إلى نفسها في المرآة مجدداً، ثم وقفت بقامتها وتنفست بعمق.

ـ الكل في المستنبت الزجاجي، لتناول الكوكتيل قبل أن يصل بقية الضيوف. وقد أعدّت طاولة العشاء هناك، وستقام الحفلة الراقصة على الشرفة خارج المستنبت. إن الليلة رائعة، يبدو أن السيدة ديكستر قادرة حتى على تنظيم الطقس.

توترت أعصاب ڤيڤيان للحظة. وخطر لها أنها تحب كل من إميليا وماغ ديكستر لكن لعلهما لا تحبانها. ثم هزت كتفيها وهي تتذكر تعليقاتهما. كما ذكّرت نفسها بأن ما قد يحصل الليلة هو ما رغبتا به بالفعل.

أخذت ڤيڤيان الخاتم عن طاولة الزينة وضعته في إصبعها للمرة الأخيرة.

* * *

كان المستنبت الزجاجي يتألق بأضواء الشموع، فبدا كحديقة أزهار متعددة الألوان، وعندما وصلت كان الجميع قد سبقها إليه.

تألقت إميليا بثوب انساب على جسمها برقة، أما ماغ فاختارت ثوباً أخضر، وابنة العم ماري ثوباً وردياً. وارتدت إحدى وصيفتي العروس ثوباً توتي اللون والأخرى ثوباً حريرياً أزرق. ووقع خيار اللايدي وابن رايت على ثوب قرمزي اللون وعلى حلى ماسية. واحدة فقط من نساء البيت ابتعدت عن الألوان الزاهية، لكنها بدت مذهلة في اللون الأسود.

ارتدت جيني ديكون ثوباً أسود ضيقاً أبرز تفاصيل جسدها المثيرة. وكشف قسمه الأعلى عن عنق عاجي، وعلّق بشرائط رفيعة فضية اللون، وكان للثوب ذيل صغير فضي الحواشي. كما انتعلت حذاءً أسود، ورفعت شعرها فوق

رأسها، ولبست في أحد معصميها سواراً ماسياً.

بدا جمالها ملوكياً، في هذا الثوب الذي يتناقض مع بشرتها الناصعة البياض، وأحست ڤيڤيان أنها تافهة، صغيرة الحجم مقارنة معها. لكن هذا لم يزعجها بل أضرم روح القتال فيها. وتوجهت نحو المجموعة مرفوعة الرأس.

جلس ليتون وادي هناك، وقد ارتديا بذلة سهرة تقليدية وقميصاً أبيض. في حين اختار رالف بذلة بنية وقميصاً ملائماً. وفكرت ڤيڤيان أن ما ينقصه بشعره الطويل والقرط في أذنه، هو قبعة إسبانية.

وعندما التفت الجميع نحوها، وهي تقترب منهم، قالت:

ـ مرحباً، تبدون جميعاً غاية في الأناقة، لا سيما أنت، يا رالف.

ورفعت كأسها نحوه.

لمحت ليتون يقطب جبينه قليلاً، لكنها سارت برزانة لتقف إلى جانبه، وكلمة «رزانة» هي أفضل ما يصف سلوكها في الساعتين التاليتين عندما بدأ الضيوف بالتوافد.

جلست قربه أثناء تناولهما الطعام. ولكن أحاديثهما اقتصرت على العام منها. كان رالف وجيني على المائدة نفسها، فضلاً عن ثمانية أشخاص آخرين. وهكذا تمكّنت من تجاهله نسبياً، كما لم تتخاصم معه. وراحت تتأمل زوجته السابقة وأخاه، فشعرت بعزيمتها تقوى لأن جيني ديكون بدت متألقة، جميلة جداً وخالية البال. كما بذل رالف جهده لإرضائها.

قال ليتون عندما رُفعت صحون الحلوى: «هل هذا ما تسمّينه الفوز بالأوسكار، يا ڤيڤيان؟».

فأجابت وهي ترتشف قهوتها: «لم أبدأ بلعب دوري بعد».

ـ إذن ستنتقلين من تجاهلي إلى النقيض؟

ورفع حاجبيه، وراحت عيناه تجولان على مفاتنها في ثوبها الوردي الجميل.

ـ كل شيء في وقته. أنا بحاجة للاستعداد، لهذا...

فقاطعها قائلاً: «تبدين مختلفة. لا أظنني رأيتك متبرجة من قبل...».

ـ أنا لا أفعل هذا غالباً، ولكننا في حفلة راقصة. وظننت أنك لن تلحظ

www.elromancia.com

ذلك .

ـ إنّ أحد الأسباب الأولى التي جذبتني إليك ، هو شكلك الطبيعي .

ـ آه .

وحملقت فيه للحظة بدهشة ، ثم حوّلت نظراتها بعيداً منه بشيء من الإرتباك ، بينما أضاف مفكراً :

ـ إنني ، في الواقع ، أفضّلك طبيعية الشكل .

ـ أنت لا تملكني ، يا ليتون .

جاءت كلماتها هذه نتيجة لشعورها بالظلم . وكأنها خلقت لتشعر بالذنب حيال أمور عديدة كتزيين وجهها مثلاً .

ـ حقاً؟ بدأت أشعر أنه بإمكاني ذلك ، إن لم يكن جسدياً فروحياً .

كان في عينيه سخرية خالصة ، لكنه أضاف : «لكني أفضلك طبيعية لأن هذا يضيف غموضاً إلى غموض ڤيڤيان فلوري . هل تودين أن نرقص؟ لعلك لم تلاحظي ، لكن الفرقة بدأت العزف على الشرفة» .

ـ بكل تأكيد .

في الخارج وبين ذراعيه ، قالت :

ـ يبدو أنك نسيت الشيء الوحيد الذي لن أفعله للحصول على اتفاقية «عصير كلوڤر» ، يا ليتون . والآن إذا شعرت أن بإمكانك أن تملكني بالمفهوم التجاري ، لوافقتك على ذلك .

رقصا صامتين لدقيقة أو نحوها ، مما شكل محنة مؤلمة بالنسبة لڤيڤيان . لكن غضبها الشديد منحها الشجاعة لتتجاهل تأثيره عليها ، لا سيما وهي بين ذراعيه . فقال ببطء :

ـ أرجو المعذرة على شكوكي ، يا ڤيڤيان . لكني لا أستطيع منع نفسي من التساؤل عما إذا كان وضعنا هنا أشبه بالجزرة والحمار . أنت الجزرة وأنا هو الحمار .

توقفت عن الرقص ، لكنه شدّها إلى الخلف . وهكذا عادت إلى الخطوات الراقصة من جديد . وسمعته يقول ببساطة ساخرة : «ألا توافقيني الرأي؟» .

ـ كلا .

جاءت كلمتها مقتضبة حازمة . لكنه اكتفى بالابتسام :

ـ ما الأمر إذن بالضبط؟

فابتلعت ريقها ، وأجابت :

ـ حسناً ، من المضحك أن الشكوك نفسها تساورني ، وهي أنك أردت امتلاكي مقابل اتفاقية كلوڤر رغم طمأنتك لي بأن اتفاقنا سيكون نزيهاً وعادلاً . ولكن لعلي كنت مخطئة .

وهنا ، جاء دوره ليتوقف عن الرقص :

ـ هناك شيء واحد أنصحك بألا تنسيه مهما جرى ، وهو أنك تميلين إلى . . . الانجراف أحياناً .

فسألته بلهجة خافتة تموج غضباً : «ما معنى هذا ، يا ليتون؟» .

ـ معناه أنني لو كنت مكانك لما حمّلت كلمة جزرة أبعاداً أخرى . هذا كل ما في الأمر . لأني بدأت أغيّر رأيي بفكرة الفتاة المحطمة القلب . بدأت أظن أن مؤسسة غودمان هي أهم عندك من أي شيء آخر .

أجفلت بشكل جلي ، مما جعله يبتسم ويرفع يدها التي تحمل الخاتم ، إلى فمه ليقبّلها . لكنها قالت بصوت لا يكاد يسمع : «من كان بيته من زجاج لا يرشق الناس بالحجارة» .

ـ هذا ممكن ، ولكن ليس لديّ ما أخسره . والآن عليّ أن أراقص بعض الحاضرات . وأنا واثق من أنه لن ينقصك مرافقون .

كان ما يزال ممسكاً يدها ، فرفعها ليلمسها بشفتيه مرة أخرى وأضاف : «ودعينا نقول إلى اللقاء مجدداً ، قريباً . لننهي ما في ذهنك في الحلقة التالية من هذه القصة البطولية المثيرة» .

لمعت عيناها وهي تجذب يدها ، قائلة :

ـ لم لا ، يا سيد «عصير كلوڤر» لم لا؟

* * *

ـ رالف .

www.elromancia.com

فالتفت رالف، ورفع عينيه عن جيني ديكون التي كانت ترقص مع رجل طويل القامة، فضي الشعر، ليجيبها بلطف: «آه، الخطيبة. كيف الحال، يا ڤيڤيان؟ أراك لم تفقدي الخاتم بعد»؟.

ـ لا، إنها سهرة رائعة، أليس كذلك؟ لكنني عطشى حقاً.

وجلست ڤيڤيان عند مائدة صغيرة مخصصة لشخصين. وبعد لحظة، جلس رالف قبالتها، وعندما مرّ النادل بهما، ناداه ثم أخذ عن صينيته كأسي عصير.

كانت الحلبة تعجّ بالراقصين، وقد ربط بعضهم بالونات في معاصمهم. وبدت هارڤست مون وكأنها شبح في سماء منتصف الليل المضاءة.

رشفت ڤيڤيان كأسها ثم تنهدت. فمال رالف برأسه نحوها، وسألها:

ـ أين ليتون؟ لا تقولي لي إنه هجرك.

ـ لا، إنه يراقص بعض الضيفات. رالف، ما أجمل هذا...

وأشارت إلى باحة الرقص، ثم أكملت: «ألا يمكن للموسيقى أن تكون أكثر حيوية؟».

قطب رالف جبينه، حين أحس بإشارة غامضة، ثم ظهر في عينيه الرماديتين وميض مفاجيء، وسألها:

ـ أتريدين موسيقى أكثر حيوية، يا ڤيڤيان؟

نظرت إليه من فوق حافة كأسها، وأجابت:

ـ رالف، أنا مغرمة بالموسيقى، لا سيما اللاتينية منها. أردت، في صغري، أن أكون راقصة، وهذا ما كنت أطمح إليه. ظننت أنك ربما.. لا أدري لماذا... لكنني اعتقدت أنك تشاطرني هذا الميل.

خرجت كلماتها الأخيرة بلطف بالغ.

أراد رالف أن يتكلم، إلا أنه عاد وسكت مقطباً جبينه، ليقول بعد حين:

ـ هل اختلفت أنت وليتون؟

ترددت ڤيڤيان، أسبلت أهدابها وهي تتذكر كل كلمة قالها ليتون على حلبة الرقص، فردّت منكرة:

ـ لا، أبداً.

ثم رفعت بصرها فجأة لتحدّق في عيني رالف، وهي تضيف:

ـ لا تقل لي إنك لم تكن تعلم أنني فتاة خطيبة مأجورة.

حملق رالف فيها دون أن ينطق ببنت شفة، فقالت:

ـ حسناً، لقد انتهت اتفاقيتنا. لطالما كانت عملية تجارية.

وهزت كتفيها، ثم أكملت: «لا أدري لم لا أخرج من هنا بشكل مثير، ثم...».

وبانت على وجهها الرزانة فجأة، حين قالت: «سيمنحك هذا الفرصة لتحل ارتباطك بجيني هذه الليلة. فهذا تصرف سيء، لأنه أخوك، وهي زوجته السابقة».

فقال بحذر:

ـ دعيني أفهم جيداً. نحن، أي أنا وأنت، سنصبح محطاً للأنظار هذه الليلة. وبهذا تبقى جيني وحيدة، وكذلك ليتون. هل هذا ما تحاولين القيام به؟ أن تعيديهما إلى بعضهما البعض؟

ونظر إليها غير مصدق. فأجابت: «بل هذا ما ترغب فيه أمك وأختك وجيني نفسها. رغم أنني لا أوافقها على أساليبها».

كلماتها الصريحة دفعت بالإحمرار إلى وجه رالف. ثم عادت تقول بهدوء:

ـ أظن من الصعب عليك أن تعيش في ظل هذا الأخ الأكبر الناجح.

قال رالف بمرارة: «أنت على حق».

ثم نظر إليها متفحصاً، وأضاف: «لا أدري لم يتملكني شعور بأنني أنتقل من سيء إلى أسوأ؟».

ـ أنا لا أطلب منك أن تتعاون معي، يا رالف. أرقص معي هذه الليلة وحسب، فأنا هنا لأداء مهمة معينة، وأنا آسفة لهذا. لكنني تخليت عن دوري، فلم لا تضع قلبك وروحك في موسيقاك حتى وإن لم تكن مناسبة لتقاليد أسرة ديكستر؟ إن نقرك على تلك الطبول في الأمس مسّ روحي، وستنجح يوماً ما.

ـ هل تعنين ذلك حقاً؟

ـ نعم، بكل تأكيد. ولكن لماذا لا ترتبط بفرقة موسيقية؟

www.elromancia.com

فقال رالف بأسى:

- حسناً. ولكن إذا ما اعتقلونا، أنا وأنت، عند الفجر، وأعدمونا، فتذكري أن هذه الفكرة فكرتك.

* * *

باشرا العمل بالخطة على الفور، ودبّ الحماس في الفرقة الموسيقية، فبعثت البهجة في نفوس معظم المدعوين، وهم في سن ماغ وإدي. عندها، أصبح جلياً أن نجمي السهرة هما ڤيڤيان ورالف.

قال لها، فيما كانا يرقصان: «لديك حس موسيقي رائع. صدقيني، أنت خسارة في ليتون يا ڤيڤيان!»

وضع ذراعه حول خصرها، وكان رأسها يصل إلى كتفه، وقادها إلى حلبة الرقص. أفسح الراقصون لهما المجال، وراحوا يصفقون لمهارتهما البالغة. وأثار رقصهما إعجاب الموجودين كلهم.

الموجودون كلهم تقريباً! إذ انتهز رالف وڤيڤيان غياب ليتون، فرقصا معاً طوال الوقت كما تبادلا الأحاديث بشكل حميم، وتعالت ضحكاتهما. وبما أنهما راقصان بارعان، وجدا في الموسيقى والأنغام قاسماً مشتركاً. وبعد حين، اختفيا عن الأنظار لعشرين دقيقة تقريباً. ابتعدا ليتمكنا من التقاط أنفاسهما وشرب بعض العصير وتبادل الحديث عن الموسيقى. ثم عادا إلى باحة الرقص ليبرعا في رقصتهما المفضلة «لايامبا». ودون أن يمسك أحدهما الآخر، قدما عرضاً جعل المدعوّين يحيطون بالحلبة مجدداً وهم يصفقون.

وفي الختام، رفعها رالف عالياً بين ذراعيه وعانقها بحماس وهو يقول لها إن الرقص معها متعة.

وجعلتها الموسيقى، والمرافق الرائع، تتألق وتضحك وتبادله عناقه.

تلا عرضهما موسيقى ناعمة حالمة، فحبس رالف وڤيڤيان أنفاسهما، وهما يرقصان معاً بهدوء. وعند ذلك، اكتشفت ڤيڤيان أفراد أسرة ديكستر على حقيقتهم. بدت إميليا غاضبة مذهولة، بينما ألقت اللايدي واين رايت، التي جلست قرب صديقتها، على ڤيڤيان نظرة احتقار صاعقة. وكان إدي وماغ

يرقصان، لكن بدا أنهما يتناقشان بجدية وشيء من الحدة. كانت جيني ديكون تقف وحيدة قرب حلبة الرقص. بدت طويلة القامة، مهيبة الطلة، وباردة كالثلج، لكن ما أن تشابكت نظراتهما للحظة، حتى قرأت ڤيڤيان فيهما غضباً عارماً ساخراً.

أنت تستحقين ذلك، يا جيني. ولا أدري لم تغضبين، فقد فتحت لك ولليتون المجال. . . إلا إذا كنت تكرهين أن يسرق غيرك الأضواء، وتحبين أن تكوني نجمة كل حفل.

أما ليتون، الذي تجاهلته وتجنبته في الساعات الثلاث الماضية، فجعلها تتوقف وقد تملكها الرعب. كان يستند إلى عمود الشرفة، وقد عقد ذراعيه بينما نطقت ملامحه وعيناه الزرقاوان العميقتان باحتقار واضح.

قالت، وقد راعها أن تكتشف أن صوتها يرتجف: «رالف، هل يمكنني الاعتماد عليك لتحسن التصرف حتى نهاية السهرة؟».

فنظر إليها رالف مازحاً، وسألها: «ماذا تعنين؟».

- حسناً، أظنني فعلت ما فيه الكفاية. . سأخلد إلى النوم. لكن أريدك أن تعدني بأنك ستبتعد عن جيني.

أخذ رالف يحتجّ بأن السهرة لا تزال في أولها. لكنها تجاهلت كل اعتراضاته، وذكرته بأن الليلة هي ليلة أخته ماغ، وعليه أن يعيد تسليط الأضواء عليها. وأصرت عليه بقولها: «عدني بهذين الأمرين».

وأخيراً وعدها بذلك. فابتعدت عنه، ووقفت لبرهة بعيداً عن أنظار أفراد الأسرة لترى ما سيحدث.

لم يخلف رالف بوعده. بل توجه مباشرة نحو ماغ، وأخذها من بين ذراعي إدي. بدت ماغ سعيدة عندما شاركهما الجميع الرقص، وتعالت ضحكتها. تنهدت ڤيڤيان بارتياح وهي تبتعد، لكن حين عبرت المستنبت الزجاجي سمعت أحدهم يقول:

- من هي الفتاة ذات الثوب الوردي؟

فجاء الجواب: «ظننتها صديقة ليتون، ولكن ثمة غموض في الموضوع.

أظنها صديقة رالف».

عضت ڤيڤيان على شفتها وركضت نحو المنزل، وتوجهت إلى غرفتها.

كانت غرفتها غارقة في الظلام فلم تشعل النور، وهي تبحث عن المفتاح لتقفل الباب. استندت إليه وهي تتنفس بعمق تحاول ألا تلفت الانتباه إليها. حثتها غريزتها، في الواقع، على حزم أمتعتها والتسلّل بعيداً عن المنزل. ولكن كيف؟

هزت رأسها، ثم توجهت نحو الشرفة. وإذا بها تتسمّر هلعاً حين أُضيء المصباح فجأة. التفتت نحو المصباح الموضوع على الطاولة فرأت على ضوئه ليتون يجلس على كرسي. كان قد حلّ ربطة عنقه وخلع سترته ومدّ ساقيه أمامه وحمل في يده فنجاناً من الشاي.

وضعت يدها على قلبها الذي أخذ يخفق بعنف وأغمضت عينيها:

ـ لقد أخفتني جداً! ما الذي تفعله هنا؟ كيف علمت أني سآوي إلى الفراش؟

ـ لم أكن أعلم.

فابتلعت ريقها: «إذن، إلى متى كنت تنوي البقاء هنا؟».

ـ بقدر ما أريد..

فقالت متلعثمة: «ولكن.. ولكن هذه غرفتي، لا يحق لك أن تكون هنا».

ـ إنه بيتي. أين رالف؟ أرجو ألا تكوني قد اتفقت معه على أن يتسلق أنابيب المياه إلى غرفتك، سيؤذي نفسه.

وحملقت فيه: «يتسلق؟ ما الذي تتحدث عنه؟ لا أظنك تتصور... لا أظنك تصورت لحظة...».

تأملتها عيناه بتمعن. ثم ارتشف جرعة من شرابه ليضع الفنجان بعد ذلك على المنضدة:

ـ أنت من أخبرني عن العشّاق اللاتينيين، يا ڤيڤيان. وفهمت الآن ما كنت تعنينه. ولكن يمكنه أن يصل إلى هنا عبر إحدى الغرف الأخرى التي تطل على الشرفة. هل هذه هي الخطة؟

سارت ڤيڤيان مترنحة عدة خطوات ثم ارتمت على حافة السرير:

ـ لا... آه، لا... ما من خطة بيننا.. ليست الخطة من هذا النوع على أي حال.

فابتسم ابتسامة صفراء، وقال: «كنت واثقاً من وجود خطة ما بينكما لكن أخبريني».

بللت شفتيها، وأكملت: «ما بدا صدّاً لك الليلة، كان في الواقع شيئاً مختلفاً تماماً... وأظن هذا ما جعلك قاسياً معي».

نظرت إليه بلهفة، وقلبها يخفق بسرعة.

ـ أما كنت لتتصرفين مثلي لو كنت مكاني؟ فما زلت تضعين خاتمي، ومع ذلك تظهرين للعالم أجمع أن أخي وحده من يهمك...

ـ هذا غير صحيح، والسبب الوحيد الذي جعلني أضع خاتمك هو.. حسناً، أنت تعلم السبب.

ـ نعم. هذا جزء من الاتفاقية بيننا. تمثلين دور خطيبتي، وتحصلين بالمقابل على اتفاقية «عصير كلوڤر». ولكنك لم تمثلي الليلة، يا ڤيڤيان، سوى دوراً فاجراً..

هبت عن السرير، وواجهته ويداها على وركيها: «إياك أن تجرؤ...»

لكنه قاطعها بقوله:

ـ وربما أخطأت حين استعملت كلمة (تمثيل) فما فعلته نابع من القلب. لهذا جاء طبيعياً جداً منك يا ڤيڤيان.

فقالت وهي تصرّ على الأسنان:

ـ هكذا إذن؟ حسناً، دعني أخبرك أني قضيت الليلة وقتاً رائعاً. وإن كنت تظن أن حالي أسوأ من حال زوجتك السابقة فأنت مخطىء. فالنظرة التي رمقتني بها جيني، منذ فترة قصيرة، كادت تقتلني، لو أن النظر يقتل. ولا أعلم لماذا؟ هل هذا لأن صحبة رالف أفضل بكثير من رفقتك أنت؟

واستدارت نحوه بعنف وحرارة المعركة بادية جلياً في عينيها، فقال وهو يضع يديه على كتفيها:

ـ فلنختبر ذلك، إذن.

فقالت بصوت خافت وهي تحملق فيه متشككة: «اليتون . . إياك».

- بل عليّ أن أفعل ذلك، يا ڤيڤيان. ألم تتحديني؟

أخذت أصابعه تلامس وجنتيها.

- لا، آه، لا.

وبدأت تستوعب الدمار الذي خلّفته الليلة، فظهر الذعر في عينيها. لكنه تجاهل كلماتها، وتلك النظرة في عينيها، وما اعتراها.

أغمضت عينيها ووقفت جامدة بين ذراعيه، وهو ينزع الدبابيس من شعرها. تركه ينسدل على كتفيها وراح يمرر أصابعه فيه.

قال: «هذا أفضل».

وأمسك بذقنها في يده، ليرفع وجهها نحو الأعلى، فرفّت بأهدابها.

وأكمل قائلاً:

- تعجبينني الآن أكثر بعد أن أزيل التبرّج عن وجهك. كما أن ثوبك جميل.

فتحت فمها غير مصدقة، ثم همست: «هل أنت جاد؟».

فرفع حاجبيه، وقال: «آه، نعم، يا ڤيڤيان».

وترك ذقنها ليمسك بوجهها بين يديه، ويتفرس في ملامحه. أحست بقلبها يرتجف، وخافت أن تعترف له بحبها، فتفسد الخطة التي رسمتها مع رالف.

دفعت يده عنها: «سأبدأ بالصراخ إن لم تخرج من غرفتي».

- لن يسمعك أحد فالموسيقى صاخبة. ولكن يمكنك أن تفعلي ذلك لتشعري بالتحسن.

صرخت وهي ترتجف: «ماذا؟»

- أظن أن كل هذا تمثيل، أليس كذلك يا ڤيڤيان؟ أعني تريدين طردي من الغرفة لتستقبليه هو.

وقرأت في عينيه سخرية بالغة.

سألته وقد جفّ حلقها: «هل هذا سبب تعاوني مع رالف برأيك؟».

- ليس لديّ أدنى فكرة ولا يهمني أن أعلم. ولكن لدينا عمل لم ينته بعد.

وضمها بين ذراعيه. فقالت متوسلة:

- أيمكن . . أيمكن أن نتحدث بالمنطق بدلاً من ذلك؟ بدت الأمور بغير شكلها الصحيح، ترى أن . . .

فتمتم يقول: «يدهشني أن يحدث ذلك معك».

مالت نحوه فجأة. إذ أدركت أنها فعلاً كارثة متنقلة، بحسب قوله. فقد خرجت الأمور عن مسارها الطبيعي، ولم تنته لعبتها كما أرادت.

ضمها إليه، فلم تقاوم. لأنها فقدت ما تبقّى لها من إرادة أو مقاومة، لكنها لم تتجاوب معه أيضاً. وما لبث أن تملكها الرعب فأخذت تبكي. رفع رأسه وقال ساخراً:

- آه، ما هذا؟ مهما كان رأيي بك يا ڤيڤيان، فأنت أشجع من أن تنهاري هكذا.

لكنها دفنت رأسها في كتفه وأخذت تشهق بمرارة. ثم ابتعدت عنه وجلست على طرف السرير وهي تحاول أن تغالب دموعها. فقال محذراً:

- ستصابين بدوار.

لم تهتم لكلامه، فجلس إلى جانبها، ووضع فنجاناً بين يديها. ثم رفع الشراب إلى شفتيها، ففعل فعله.

جفّت عيناها خلال دقائق، وقالت: «شكراً، أظن أن ما جرى أنهكني قليلاً».

قال ببطء، وهو مقطب الجبين: «هل تودين أن نتكلم بالمنطق الآن؟».

ارتشفت مزيداً من الشاي. وأضافت: «حسناً، لا تلق اللوم على رالف، فقد كانت الفكرة فكرتي. آه، كيف يمكن للمرء أن يهرب من هنا؟ لأنني بحاجة إلى ذلك». ثم نظرت إليه.

كان العبوس ما يزال في عينيه عندما استقرتا على وجهها الذي غسلته الدموع. راح يتأملها بتمعن، ويتأمل تصرفاتها، كيف تشبثت يداها بالفنجان الذي أراحته على حجرها وعلى ثوبها الحريري الوردي. ثم خطر له أنها لا تتراجع أبداً، حتى وعيناها تعكسان رعبها. . ومهما كانت الخطة التي وضعتها

www.elromancia.com

الليلة للحصول على اتفاقية عصير كلوڤر، ومهما كانت الكوارث التي تلاحقها، فشخصيتها تتميز بشهامة وشجاعة غير عاديتين.

أخذ الفنجان من بين يديها ووضعه على الأرض. ثم اتكأ إلى الخلف وهي بين ذراعيه. ولم يفلتها حتى هدأت ولم تعد ترتجف، وتوقفت نهائياً عن البكاء.

أحس بشعورها بالدفء والحنان بين ذراعيه، وبالأمان، بعيداً عن ذلك الاضطراب الذي ساعد هو نفسه، على التسبب به في حياتها. لم ينتابه هذا الشعور حيال فتاة، يبدو أنها تكرس جهودها لهدف واحد وهو الحصول على إتفاق تجاري. لقد خدعته مع أخيه، كما عانقته مرتين باندفاع. وها هي تهدده بالصراخ إن لم يغادر غرفتها.

لكنه كان واثقاً من أمر واحد، وهو أنه لن يتمكن من إخراجها من حياته إلا إذا محا رالف من ذهنها؟ قطب جبينه، حين خطرت له هذه الفكرة. لكنها لم تبعده عنها، فما من شيء يستطيع أن يدفعه إلى ذلك الآن...

مرّر يده على شعرها فتململت ڤيڤيان ونظرت إليه بمزيج من الدهشة والحذر، لكنه قضى على حذرها حين عانقها وهو يمسكها برفق.

دفعتها مشاعرها الجياشة إلى التفكير. فهي منهكة، سريعة الانفعال. تلفها الكآبة، ويعتصرها الألم من نبذه لها في السابق. وستحمل هذه الأحاسيس معها بقية حياتها. لكن ما زال لديها ذاك الأمان مع ليتون ديكستر، رغم ما قاله، ورغم الكلمات التي حكمت عليها بالهلاك منذ البدء.

شعرت أنهما وحيدان على هذا الكوكب. وملأ قلبها المجروح بالبهجة. لماذا؟ لأن عطفه وحنانه لا يمكن أن يكونا لمجرد الثأر منها. فقد شعرت بحاجته الماسة إليها.

شعرت بأنها خلقت له ولأجله. وأنها مناسبة لليتون ديكستر.

تملكها شعور بالثقة، وأحست بأنه جزء من قلبها، وأنها لا تريد أن تنسلخ عنه. ودّت لو تكشف أسرارها كلها لليتون ديكستر الذي امتلك فؤادها، وشغل أفكارها. هذا الرجل الذي بدّل حياتها، وجعلها تشعر بالدفء والأمان.

ثم قرع أحدهم الباب...

أجفلت، لا بل أجفلا معاً. ثم تعالى صوت من وراء الباب، يقول:

- ڤيڤي، افتحي الباب... أنا رالف.

رأت نظرة قاسية ترتسم في عيني ليتون، وتوترت شفتاه. وشعرت فجأة بضغط ذراعه حول كتفيها، قرأت في عينيه أمراً حذرها من أن تتكلم.

أطاعته، هذا ما كانت ستفعله على أي حال. لكن رالف قرع الباب مرتين قبل أن تبتعد خطواته.

تركها ليتون وهبّ واقفاً بسرعة.

جلست حائرة وراحت تمرر أصابعها في شعرها. فتحت فمها لتتكلم، لكنه سبقها بالقول: «آسف إن كنت قد سبقت رالف، ولكن كان عليك أن تحذريني».

شعرت ڤيڤيان بالدم يهرب من وجهها: «أنت لم تسبقه.. إنه... ليس لديّ فكرة...».

- (ڤيڤي) نظر إليها بسخرية بالغة، ثم أضاف: «ارحميني من التفسيرات الكاذبة. إذا كانت هذه هي الخطة، فقد نجحت...».

فانفجرت تقول والصدق مرتسم في عينيها: «لا أفهم ما تعنيه».

فرد بخشونة: «سأشرح لك الأمر إذن. تقربت من رالف كي أتعلق بك وأهتم بك، أليس كذلك؟».

- لا.. هذا غير منطقي، لم أفعل هذا.

فقال ساخراً: هددت بالصراخ، ثم بدأت بالبكاء، حتى أنك جعلتني أظن أنك غاية.. في الشجاعة. أردت أن تشعريني بالذنب، وألا تحمي به أنت. ولم تجدي طريقة أفضل من استغلال رالف كي... تدفعيني إلى نقطة اللاعودة، يا ڤيڤيان.

حملقت فيه وفغرت فاها مذهولة.. فابتسم إبتسامة باردة. تجمد لها قلبها.

- لا تقولي لي إنك لا تعرفين عن الرجال ما يكفي لكي تعلمي هذا.

www.elromancia.com

- ولكن لم قد أفعل هذا؟

- لماذا؟ كي تبقي متمسكة بادعائك الدائم بأنك لن تستسلمي وتخضعي لي من أجل الفوز بالاتفاقية.

وكانت لهجته لاذعة، فلم تستطع ڤيڤيان سوى أن تحملق فيه بذهول تام، وتابع:

- كما أنك أبديت إعجابك برالف أيضاً. ولكن كان ينبغي أن يخطر ببالك أنك لن تحصلي على كل شيء مجاناً.. وأن رالف سيأتي ليطالب بأجره.

- لا! إسمع...

- ألم تستغليه هذه الليلة؟ وقلت إنك استمتعت بكل دقيقة معه؟

- لا، حسناً، نعم، ولكن...

وسكتت بعجز، وراحت تنظر إليه، عاجزة. ثم قال ببطء:

- وهكذا، حصلت على الأخوين ديكستر. صدقيني يا ڤيڤيان إن هذا إنجاز مميز. لكن هذا الأخ، وهو أنا، على وشك أن ينسحب من هذه اللعبة.

ثم انحنى متمهلاً، وأخذ وجهها بين يديه، فشهقت.

- سألقي نظرة أخيرة على فتاة كادت أن تستغفلني.

وأخذت عيناه الزرقاوان اللعينتان تطوفان فوق وجهها. تمعّن في كل تفصيل أصبح الآن يعرفه جيداً، وكل بقعة ناعمة حساسة منه. ثم قال برقة: «آه، نعم» وعاد بنظراته إليها، مثقلة بسخرية واحتقار لم تر مثيلاً لهما، وأضاف: «أنت جميلة جداً، وممثلة بارعة، يا ڤيڤيان. وبدأت أتساءل أيضاً عما إذا كان خوفك من الطيران والمرتفعات والمصاعد ادعاء منك. لكن اعلمي ما يلي: لقد حصلت على «عصير كلوڤر» مقابل جهودك المضنية».

ترك وجهها، وحمل سترته وربطة عنقه ثم خرج عبر الشرفة.

***

٧ ـ الثمن

- سيدة ديكستر؟ أنا ڤيڤيان فلوري. أرجوك هل تسمحين لي بالدخول؟ فأنا أحتاج للتحدث إليك.

بعد نصف ساعة، وكما قرع رالف بابها من قبل، هاهي تقرع باب والدته. كانت الحفلة ما تزال مستمرة، ولكن ڤيڤيان نظرت خلسة من شرفة الطابق الأعلى فرأت أن عدد المدعوين يتناقص وأن خطاً من الضوء تسلل من تحت باب إميليا ديكستر.

طرقت الباب مجدداً، فانفتح فجأة. كانت إميليا قد أزالت الزينة عن وجهها وارتدت عباءة بيضاء فوق قميص نومها. لكنها لم تفقد شيئاً من مظهرها المستبد.

قالت وقد بان النفور في ملامحها: «ڤيڤيان! أنت آخر شخص أريد التحدث إليه، لا سيما في هذا الوقت من الليل، اذهبي إلى فراشك».

فقالت ڤيڤيان متضرعة:

- لا. أرجوك، لا تصفقي الباب في وجهي، أنا حقاً بحاجة إلى شخص يفهمني و... بحاجة إلى المساعدة.

ترددت إميليا ثم قطبت حاجبيها وهي تنظر إلى وجه ڤيڤيان الشاحب واضطرابها البادي.

- صدقيني، أجد أنك سببت ما يكفي من المشاكل. هيا، ادخلي، إنما أحذرك! عليك أن تحسني التصرف.

ثم ابتعدت عن الباب، وتركت ڤيڤيان تدخل وتغلقه خلفها. كانت الغرفة

www.elromancia.com

واسعة، تحتوي أريكة أمام المدفأة وعدداً من المقاعد المغطاة بقماش قطني نقشت عليه رسوم زاهية.

قالت والدة ليتون:

- إذن. . . كيف يمكنك أن تفعلي ذلك؟ لا أدري ما هي اللعبة التي تلعبينها. . .

فقاطعتها ڤيڤيان: «يا سيدة ديكستر، هل لي، أولاً، أن أوضح شيئاً؟ ربما ما زلت تكرهينني، ولكن الأمر ليس كما تظنين».

ثم تنفست بعمق وأخبرت إميليا ديكستر القصة بأكملها.

وعندما انتهت من الكلام، فتحت إميليا فمها وأغلقته مراراً، إلى أن قالت أخيراً:

- حسناً، هذا يفسر بعض الأمور، ولكن. .

ونظرت إلى ڤيڤيان بشيء من العجز ثم أضافت: «وكيف أتأكد من أن كل ما رويته صحيح؟».

أخرجت ڤيڤيان علبة الخاتم المخملية، قائلة:

- أرجو أن تعيدي هذا الخاتم لليتون. ما أردت أن ألبسه، ولكن تلك قصة أخرى. يمكن لرالف أن يطلعك عليها إذا أراد أن يكون صادقاً بهذا الشأن، وسيخبرك لماذا فعلنا ما فعلناه. لا أدري لماذا قرع بابي هذه الليلة. لكنني أوضحت له أنه لا يمكن أن يحدث بيننا شيء. كما أوضحت له أن عليه ألا يتدخل بين ليتون وجيني، حتى وإن أرادت هي ذلك. وأن هذه فرصته للخروج من ذلك الدور. . . إنها فرصة لنا نحن الاثنين للخروج من هذا الدور الذي نلعبه. ولعلنا، بهذا، نتمكن من جمع شملهما.

فقالت إميليا وهي تتنهد: «جيني. حسناً، أتصور أن لديها أسبابها. ورالف وليتون. . . لطالما كان أحدهما ينافس الآخر».

- أعلم هذا. ويا ليتني فكرت قليلاً في ذلك. لكن لم يخطر في بالي أن الحقد بينهما سيزداد بسببي. لم أكن أظن حقاً أن هذا. . .

وسكتت ڤيڤيان ثم عادت لتقول: «ليت هذا لم يحدث! كان عليّ أن أخبر

أحدهم بالحقيقة لأني شعرت بالذنب حيال أسبوع زفاف ماغ. لكن لم يكن لدي فكرة عما يجري حين جئت إلى هنا».

أخذت إميليا تنظر إليها مطوّلاً بإمعان. كانت ڤيڤيان قد استحمت وشعرها ما زال مبتلاً. وظهرت حول عينيها هالتان زرقاوان، أما وجهها فبدا شاحباً وملامحها مرهقة. وسألتها ببطء:

- هنالك أمر واحد لم أتأكد منه بعد. ما الذي أبقاك هنا بعد أن بدأت تتفهمين. . . الأمور؟ أهو ليتون نفسه أم اتفاقية عصير كلوڤر؟

فنظرت ڤيڤيان إلى البعيد، ثم قالت:

- حصل سوء تفاهم حول هذا الموضوع، أيضاً، لكنني لا أستطيع أن ألومه لو ظن أنني كنت. . . متلهفة للحصول على الإتفاقية ومستعدة لإقامة علاقة قصيرة الأمد. ولكن ذلك لم يناسبني.

- إذن، ألم تقعي في غرامه يا ڤيڤيان؟.

وطرح السؤال الذي كانت تخشاه وترجو أن تتجنبه. لكنها لم تستطع تجنب عيني إميليا القاتمتي الزرقة كعيني ابنها. قالت:

- ظننت ذلك في البداية. . . ولكن لا، لم يحدث هذا. أردت أن أطلب منك أن تقولي لليتون إنني لا أستطيع قبول اتفاقية عصير كلوڤر الآن، أو حتى الشامبو. ستمحو وكالة غودمان اسم كلوڤر من دفاترها نهائياً.

- لم لا تخبرينه كل هذا بنفسك؟

- لا أريد أن أرى ليتون مرة أخرى. . . أنا. . . من المستحيل أن أشرح له الأمور، وعلى أي حال. حان الوقت. . . لذلك. أرجوك، كيف يمكنني مغادرة المكان؟ الآن. صدقيني! لقد نلت كفايتي وحزمت أمتعتي. هل من الممكن أن أطلب سيارة أجرة بواسطة الهاتف؟.

وشدت قبضة يديها حتى ابيضت مفاصل أصابعها.

هزت إميليا رأسها ببطء، وقالت:

- لا. إننا بعيدون جداً عن الحضارة. ولكن بإمكاني مساعدتك. حسناً، يا عزيزتي، لم لا تبقين في غرفتك قليلاً؟ إن البستاني عندنا يعمل أيضاً سائقاً

عندي. سأرى إن كنت أستطيع إيقاظه.

فسألتها متوترة: «ألا يمكنني الإنتظار هنا؟».

نظرت إميليا إليها بحدة، وقالت: «لا أظنك.. خائفة من ليتون؟».

أغمضت ڤيڤيان عينيها وتساءلت كيف تخبر أمه بأنها لن تستطيع تحمّل مواجهة أخرى معه. وبللت شفتيها، وأجابت: «لا، طبعاً، ولكن....»

وسكتت فقالت إميليا فجأة: «لا بأس، إجلسي» ثم غادرت الغرفة.

وبعد عشرين دقيقة، نزلت السلالم برفقة إميليا التي قادتها نحو سيارة الرانج روڤر الزرقاء المتوقفة أمام الباب.

ـ أمتعتك في السيارة، يا ڤيڤيان، وأرجو أن تسامحيني، لكن يبدو أنها أفضل طريقة للرحيل.

ـ آه، عندما أصل إلى محطة القطار، يمكنني أن أهتم بنفسي يا سيدة ديكستر، شكراً على مساعدتك لي.

هزت إميليا كتفيها، ثم عانقت ڤيڤيان التي بدت الدهشة على وجهها. وأضافت: «اعتني بنفسك».

صعدت ڤيڤيان إلى السيارة وقالت مخاطبة السائق:

ـ مرحباً، آسفة لهذا....

ثم سكتت وكأن رصاصة أصابتها. لأنها لم ترَ رجلاً غريباً يستعد لقيادة السيارة، بل ليتون نفسه.

وما إن أغلقت إميليا باب السيارة، حتى أقلع بها.

قالت ڤيڤيان بيأس:

ـ كيف يمكنها أن تفعل بي هذا، بعد كل ما... قلت لي إن أمك هي مثال للوقار.

ـ وهي كذلك، إربطي حزام مقعدك. ولو لم تصادفني أثناء بحثها عن «ريتشاردز» لهربت أنتِ!

ـ أهرب بماذا؟ تجعلني أبدو كمجرمة فارة. إلى أين نحن ذاهبان؟

ـ إلى أي مكان يبعدنا عن مستشفى المجانين هذا. إلى أين تريدين الذهاب،

يا ڤيڤيان؟

ـ إلى مكان متحضر، حيث أجد قطارات وسيارات أجرة وطائرات وبيوت، وذلك كي أصل إلى بيتي!

وأخذت تبحث عن حزام الأمان لتضعه وهما يجتازان مجموعة جميلة من البوابات لم ترها من قبل.

ـ ڤيڤيان؟

ـ لا أريد أن أتحدث عن ذلك يا ليتون. فقد انتهى الأمر بيننا. لقد أصدرت حكمك عليّ... حسناً، وأنا أصدرت حكمي الآن.

ـ قالت لي أمي إني ربما أسأت الحكم عليك.

فقالت بضعف:

ـ وإن يكن، هذا لن يغير الوضع، ولا يعني شيئاً. فقد انتهى ما بيننا وأرفض التحدث في الموضوع.

ـ لم تدخل في التفاصيل، قالت إنه عليّ، فقط، أن أصغي إليك. لعلك أفضيت لها بأمر ما حرّك مشاعرها وأكسبك عطفها.

ألقت ڤيڤيان برأسها إلى الخلف ورفضت الكلام.

ـ هل هي أكاذيب أخرى، يا ڤيڤيان؟ هل هذا سبب لهفتك للهرب دون أن تواجهيني؟

لم ترفع رأسها، لكنها التفتت تتأمل الظلام من النافذة: «نعم، لقد أخبرتها كذبة».

ـ لقد تساءلت عن ذلك.

ـ أحقاً؟ لا بد أنك سعيد لاكتشافك شخصيتي.

فقال متجهماً: «ڤيڤيان، إذا كان لديك ما تقولينه، فقوليه الآن».

ـ حسناً، ما هي المسافة المتبقية إلى أقرب محطة قطار؟

اعترض بحزم، لكنها رفضت الكلام بعناد ولم ترهب تهديده. ورفضت أن تظهر مدى الحزن الذي يمتلكها. انطوت على نفسها، وبعد أميال عدة استغرقت في النوم.

www.elromancia.com

كان الفجر قد بزغ لتوه عندما توقف أمام مطار «ماسكوت».

طرفت ڤيڤيان بعينيها، وتمطت ونظرت حولها وقد أصابها دوار. ثم استدارت نحوه، مذهولة وقد تذكرت كل ما جرى. فقالت متلعثمة:

ـ هل هذا؟ هذا هو المطار. إسمع، لم أتوقع منك أن تقطع كل هذه المسافة.. كان بإمكاني أن أستقل القطار أو أي وسيلة نقل أخرى.

أسند ليتون مرفقه إلى عجلة القيادة وأخذ يتأملها بنظراته. ثم قال باقتضاب:

ـ قبل بزوغ الفجر؟ ربما لن تتمكني من ذلك. ولكن هل هذا هو المكان الذي تريدين أن تكوني فيه؟

وأدركت من نظراته أنها تبدو مشعثة الشعر، مهملة. ففركت وجهها وحاولت تمشيط شعرها بأصابعها، وهي تقول مشتتة الذهن: «حسناً، نعم. إنه المكان الأفضل الذي سأغادر منه إلى بيتي...».

ـ انزلي من السيارة إذن، وسأحضر لك أمتعتك.

جلست على حقيبتها. بينما ذهب ليحجز لها مكاناً على الطائرة.

اختار لها مقعداً في الدرجة الأولى. على متن أول رحلة إلى «بريسبن»، التي ستنطلق بعد ساعة. ثم قادها إلى قاعة خاصة مترفة، واقترح عليها إصلاح مظهرها في غرفة الزينة.

دخلت مسرورة، فغسلت وجهها، وحاولت أن تسرح شعرها، وأن ترتب مظهرها، فيما كانت تسعى لتنظيم أفكارها. وعندما عادت إلى القاعة وجدت أنه ينتظرها. وكان قد طلب قهوة وشطائر لهما.

تنهدت وهي تجلس أمام فنجان القهوة الساخن. أخذت تشم عبيره، ثم قالت بصوت أجش:

ـ شكراً. أنا حقاً بحاجة إلى هذا، ولكن ما كان لك أن...

ـ ڤيڤيان، إذا قلت هذا مرة أخرى سأخنقك.

رفعت فنجانها ونظرت إليه من فوق حافته. لقد تركت هذه الليلة آثارها على وجهها... وفضحت لها المرآة كل ذلك، إذ رأت كدمات كالرضوض

تحت عينيها، وشحوب غير طبيعي في وجهها. كم تمنت لو حملت معها بعض أدوات الزينة!... وأحست بإرهاق بالغ لم تستطع التخلص منه... أما هو فلم يبدُ عليه الأعراض نفسها، ولو كان يحتاج لحلاقة ذقنه.

بدا ضخماً، مليئاً بالحيوية، واثقاً من نفسه رغم مزاجه المعكّر. فكرت في كل هذا بمرارة، فوضعت كوبها من يدها وراحت تدعك جبينها بأصابعها.

ـ هناك أمران، يا ليتون، لقد سلّمت الخاتم لأمك، كما إني لا أريد اتفاقيات كلوفر على الإطلاق. إننا، أعني مؤسسة غودمان، ستشق طريقها من دونك.

ـ هل هذا بسبب ما قلته لك؟

فقالت بثبات تطلب منها جهداً بالغاً: «ما كان عليّ أن أعقد اتفاقاً مماثلاً معك. لأنني أجد نفسي مكرهة، أخلاقياً، على قبول أي شيء منك».

نظر إلى ساعته، وقال:

ـ ڤيڤيان، منذ أربع ساعات كنت أضمك بين ذراعي...

هزت كتفيها وعادت ترفع فنجان القهوة، فأضاف: «ألا تريدين التحدث في الموضوع؟».

صاحت بها كل خلية من جسمها تطالبها بأن تخبره بأنه الوحيد الذي أحبته لكنه ضرب بهذا الحب عرض الحائط. لكنها كانت تعلم أنها لن تثق مجدداً بليتون ديكستر... ولم ترَ فائدة من محاولة التفاهم معه. ولن تخبره عن رالف، وجيني ديكون... ناهيك عن مشاعرها الخاصة؟ وأخيراً قالت: «لا»!

فقال متجهماً: «وماذا عن نتائج ما حصل؟»

فأغمضت عينيها: «لا تقلق يا ليتون، لن أحمّلك ذنباً».

بقي صامتاً للحظات، لكنها أحست بنظراته تخترق أعماقها. ثم قال: «أليس لديكِ ما تضيفينه، يا آنسة فلوري؟».

ـ أنا لست في قفص الشهود في المحكمة، يا ليتون.

ولمعت عيناها غضباً.

استند إلى الخلف، ولكن قبل أن يتاح له الوقت ليتكلم، تابعت تقول:

ـ هناك، في الواقع، شيء أريد أن أضيفه. إذا لم تكن قادراً على إخراج جيني ديكون من قلبك، كفّ إذن عن تعذيبها وتعذيب نفسك.

قرع جرس تبعه تنبيه إلى قيام رحلتها في الطائرة. واتسعت عينا ڤيڤيان حين أدركت فجأة ما هي مقبلة عليه... ستركب الطائرة.

فقالت وقد تملكتها الكآبة والوحشة: «آه، لا... هذا آخر ما أحتاج إليه الآن».

فرد بجفاء: «لقد طمأنتني إلى أن هذا ما تريدينه حقاً».

ـ هذا صحيح، ولكن لم يكن لديّ الوقت لأعدّ نفسي.

قال وهو يراقبها بعينين ضيقتين: «ما زال أمامك عشرون دقيقة تقريباً قبل إقلاع الطائرة».

بدا الإحباط عليها وشحب وجهها، فأضاف: «لم لا تتذكرين كم كنت شجاعة معي؟»

ـ هذا آخر ما أريد التفكير فيه...

سكتت فجأة وعضت على شفتيها، لكنها أكملت قائلة: «آه، ربما أنت على حق. إذا أمكنني ذلك، فهذا حسن. نعم».

ووقفت بعزيمة واضحة ارتسمت على خطوط جسمها، ثم مدت يدها إلى حقيبة يدها «لا بأس، ليس عليك أن ترافقني أكثر يا ليتون. فأنا أعرف البوابة، لهذا.. لنقل وداعاً الآن. أنا آسفة لانتهاء كل شيء بمثل هذا الفشل الذريع. لكن، على الأقل، يمكنك أن تعود إلى «هارڤست مون» وتساعد ساغ على الاستمتاع بأسبوع عرسها.»

فوقف قائلاً: «سأرافقك حتى البوابة، يا ڤيڤيان».

ـ إن هذا يطيل...

وسكتت فجأة.

فتمتم: «العذاب؟»

ثم وقف يراقبها كالصقر.

فقالت وهي تنظر إلى البعيد: «لا، أبداً. أنا فقط... لا أحتاج إلى من يمسك بيدي».

فقال بمودة مفاجئة: «لا بأس. لن أفعل ذلك، لكنني أريد أن أراك داخل الطائرة».

فردت بعنف: «لا تخف، لن أفلت منك لأهرب عائدة إلى هارڤست مون، أليس هذا ما يقلقك؟»

فقال ببطء: «لا، أبداً. أنا في إثرك يا ڤيڤيان».

خرجت من القاعة مرفوعة الرأس. فتبعها ثم سار إلى جانبها صامتاً حتى وصلا إلى البوابة. عند ذلك، وقفت ونظرت من النافذة الزجاجية الكبيرة إلى الطائرة. ثم ابتلعت ريقها وأخذت تربت على جيبي بنطلونها الجينز، وتبحث في حقيبة يدها عن تذكرتها بشيء من الاضطراب.

ـ إنها هنا.

أخذ حقيبتها من يدها، وأخرج من الجيب الخارجي تذكرة السفر، ثم وضع ذراعه حولها.

همست: «ليتون». واتسعت عيناها بحذر حين راحت ذكرياتها معه تتدفق إلى ذهنها.

أخذ يتأمل قطرات العرق على جبينها، وسمعته يتأوه قائلاً:

ـ ڤيڤيان، يمكنك أن تفعلي هذا. أنت فعلاً رائعة، وأنا آسف إن قلت لك العكس. هل تريدين إخباري شيئاً ما؟

فغرت شفتيها. وحدّثها فؤادها بأن تكون صادقة معه. لكن، ومثلما كان ستان غودمان يتراءى لها أحياناً، تراءت لها جيني ديكون الآن. كما تذكرت الفراغ الهائل المخيف الذي تركها فيه قبل خمس ساعات فقط، حين نبذها من جديد. وبقيت حائرة لا تدري كيف ستواجه هذا كله...

فقالت بهدوء تام: «لا، وداعاً يا ليتون. سأكون بخير».

ثم ابتعدت دون أن تنظر إلى الوراء.

* * *

www.elromancia.com

عندما دخلت إلى شقتها، ووقفت تنظر حولها، لم تصدق أنها لم تفارقها إلا منذ أربعة أيام.

ووجدت نفسها تفكر متأملة بأن هذه الأيام الأربعة مضت كالحلم، فقد حدث الكثير في ذلك الوقت القصير. وكيف يمكن لشخص أن يقع في الغرام في أربعة أيام؟

أغمضت عينيها وقد شعرت بإرهاق شديد. لم يكن أمامها سوى أن تلجأ إلى سريرها رغم أن الوقت لا زال مبكراً. وهذا ما فعلته.. ولكن لساعة تقريباً. وبدلاً من أن تستغرق في النوم، تدفقت أحداث تلك الأيام إلى ذهنها.. وراحت تتساءل عما فعلت، وعما ستفعل، وعما عليها أن تفعل...

ما الذي يحدث الآن في هارڤست مون؟ وأي تفسير أعطي لهربها تحت جنح الظلام؟ أترى أطلعت إميليا ليتون على ما أخبرتها به؟ وإذا فعلت، فأي فرق سيحدث ذلك؟ لا شيء، على الأرجح، إلا إذا قرر رالف أن يعترف بكل شيء. ويبدو هذا بعيد الاحتمال، كما أنها أدّت دورها ببراعة. وضعت أساساً لهذه القصة عندما أثارت غيظ ليتون، في ذاك المطعم على ضفاف النهر، وهي تصف الرجال الذين تفضلهم. لكنها لم تكن تتصوّر أن شقيقه يحمل الصفات ذاتها.

هل تصرفت بسذاجة بالغة حين ظنت أن رالف سيتقيد بتحذيرها، ولن يحاول أن يخلق شيئاً بينهما من لا شيء؟ وتملكتها الكآبة لأن الجواب واضح. وإلا لماذا جاء ليطرق بابها في ذلك الوقت من الليل؟

ولكن لعل أكبر خطأ اقترفته هو أنها استمرت في تلك المهزلة لمدة طويلة جداً، باسم مؤسسة غودمان. وهذا هو الشيء الوحيد الذي تمكنت من تصحيحه..

* * *

استيقظت من نومها مع غياب الشمس. نهضت واغتسلت وحضرت شيئاً تأكله. ثم جلست إلى طاولة المكتب بجانب المجيب الآلي الذي ما انفك يضيء وينطفئ بجنون دون انقطاع.

كانت الرسائل اجتماعية. أما الأخيرة فوصلت قبيل وصولها إلى البيت

هذا الصباح. أخذت تنظر إلى الجهاز مذهولة، حين أخبرها مساعد غودمان الشخصي أن ستان أصيب بنوبة قلبية خفيفة منذ يومين. وأن خبر حصول مؤسسة غودمان على اتفاقيتي عصير كلوفر والشامبو قد أنعشه، حين سمعه من ليتون ديكستر نفسه هذا الصباح.

وهمست: «ماذا؟ آه، لا.»

* * *

أتراه يعلم بالنوبة القلبية التي أصابت ستان؟

كانت الساعة الثامنة والنصف في الصباح التالي، وڤيڤيان في مركز عملها. أمضت في مكتبها ما يقارب الساعة وهي تذرعه جيئة وذهاباً كالأسد السجين في قفصه.

كانت قد اتصلت، بإيزابيل، زوجة ستان، في الليلة الماضية. وأخبرتها هذه الأخيرة أن زوجها في المستشفى وسيغادرها في اليوم التالي، إنما عليه أن يرتاح لفترة. وتابعت إيزابيل غودمان تقول إن ستان تحسّن بشكل ملحوظ حين علم بخبر اتفاقية كلوفر. وطلب منها أن تشكر ڤيڤيان من أعماق قلبه. كما أنه كلّفها أن تخبر ڤيڤيان بأنه واثق من أنها ستقوم بحملة دعائية ناجحة ومميزة لعصير كلوفر.

وقالت لوسي هوايت مساعدة ستان الشخصية، مكشرة:

ـ لا، لم أخبره عن صحة ستان لأن... حسناً، لم أشأ أن أعرض الصفقة للخطر! فهي، تقريباً، الشيء الوحيد الذي سينقذنا. وعلى أيّ حال، أنت الأساس الآن وليس ستان.

جلست ڤيڤيان خلف مكتبها متثاقلة: «ماذا قال ليتون ديكستر؟ ما الذي قاله بالضبط؟».

كانت لوسي هوايت سيدة في الخمسين من عمرها، مفعمة بعواطف الأمومة. ونظرت إلى ڤيڤيان مقطبة: «هل هناك مشكلة، يا ڤيڤي؟».

هزت ڤيڤيان رأسها:

ـ أريد أن أعلم. أنا.. إنه.. لقد تركته دون أن أتأكد من الأمر، في

الحقيقة.

بدا جلياً أن لوسي تجهل موضوع الإتفاق الذي عقدته ڤيڤيان مع ليتون كي تحصل على اتفاقية كلوڤر.

إنبسطت أسارير وجه لوسي، وقالت:

ـ عندما أخبرته أن ستان غير موجود، قال إن هذا غير مهم. وطلب أن أخبرك أن التصاميم التي وضعتها للصقها على الزجاجات أعجبته جداً. وأعطاني اسم شخص لتتصل به في مكتب العقود، واسم شخص آخر للتعاقد معه حول مختلف أنواع العصير التي ينتجونها.. ويبدو أن أعمالنا كلها يجب أن تمرّ عبر هذا الشخص ليوافق عليها. وهو نفسه سيغيب لفترة، كما قال، يا ڤيڤي.

وتابعت بابتهاج: «هذا عظيم! ليس الملصقات وحسب بل الإعلانات في المجلات وفي التلفزيون أيضاً. إنك فتاة ماهرة ذكية للغاية».

أحست ڤيڤيان بالتعاسة. ما الذي ستفعله الآن؟ ها هي مقسومة بين وفائها لستان غودمان الذي كان كأب لها والذي لطالما ساعدها في عملها، وبين تشويه سمعتها وإثارة الشبهات حول أخلاقها؟

ولكن أليست تبالغ في تقييم الوضع؟ وماذا عن ليتون... ما الذي دفعه إلى هذا، إلا إذا كان هذا اختباراً من نوع آخر؟ أم هو نابع من حسن أخلاقه رغم اعتقاده بأنها خدعته، وحاولت أن تستغل أخاه؟

ربما روت له أمه ما جرى. ولكن إذا طلب من لوسي أن تخبرها بأنه سيغيب لفترة طويلة، فمعنى هذا أن ما قالته لم يشكل أي فرق لديه. إما لأنه لم يصدق وإما لأنه... لطالما قال إنها ليست له، حتى بعد ما جرى.

إذن، هذه الاتفاقيات مكافأة لها. لا بد أنه كافأها بحقد... ليجعلها تشعر بأنه.. تغلب عليها. وسيقول إنه نفّذ جانبه من الإتفاقية. أم لعله ندم على ما حدث؟ وسمعت هاتفاً في داخلها، يحذرها من القبول، ويدعوها للرفض... لأنها ترفض أن تشعر بالامتنان حياله، ولا تريد أن تدين له بشيء.

بللت شفتيها بلسانها، وأدركت أن لوسي خرجت لاعتقادها بأن ڤيڤيان

تركز أفكارها على الحملة الدعائية. ورأت أمامها فنجان شاي لم تنتبه لوجوده من قبل.

أدنته منها، ثم دفنت وجهها بين يديها وأخذت تتنفس بعمق. فها هي تشعر بالدوار مجدداً، كما يحدث لها دوماً أثناء الأزمات. وكلما فكرت في ذلك أكثر، كلما شعرت أنها وصلت إلى طريق مسدود. لم تكن قادرة على ترك ستان غودمان، وهو في أمسّ الحاجة لها. ولا تستطيع أن تصدمه وتقول له إنها رفضت اتفاقيات كلوڤر، كما أنها لا تستطيع أن تخرج ليتون ديكستر من حياتها وقلبها كما كانت قد قررت، عبر رفض مؤسسة غودمان التعامل مع كلوڤر.

أدركت أنها لا تستطيع حتى أن تستغل مرض ستان كعذر لها لتتراجع عن قرارها. فاختلاق الأعذار لا يتماشى وطبيعتها، وتمتمت لنفسها: «وإذا ظن أني استسلمت، فليظن ما يشاء».

اتكأت إلى الخلف وأغمضت عينيها وهي تتساءل بحزن عن الخيار الذي كان أمامها منذ ليلتين. لأنها كلما فكرت في الأمر، وجدت أنها كانت تحت رحمة أشدّ الرجال خطورة بسبب جاذبيته المفرطة. وسواء كان مدفوعاً برغبته في التفوق على رالف، أو في إخضاعها له مقابل منحها الحملة الدعائية، لم يكن لديها جواب مقنع على الطريقة التي يثير بها مشاعرها.

وهمست لنفسها بصوت مسموع:

ـ وهكذا عيشي وتعلمي، وإن كنت تظنين أنك تعرفين كل شيء، فليكن هذا درساً لك، يا ڤيڤيان فلوري...

* * *

ـ ڤيڤي، هذا رائع!

هذا ما قاله ستان غودمان، بعد ثلاثة أسابيع. وكان هذا أول يوم يعود فيه إلى المكتب. أمضى ستان عطلة طويلة برفقة زوجته التي جنّبته الأعمال كلها. وهكذا، بدا الآن قوياً نشيطاً وقد لوحت الشمس بشرته.

لكنه قطب جبينه فجأة ونظر إلى ڤيڤيان بإمعان: «هل أنت بخير؟»

فقالت مازحة: «أنا بخير حقاً. كنت أعمل بجد في الحملة الدعائية

www.elromancia.com

كلوفر.. أنت تعرف الحال عندما ينزل عليك الإلهام ولا تريد أن تفقده».

فقال ببطء: «لم أرك يوماً بمثل هذه النحافة وهذا الشحوب. ماذا حدث مع ليتون ديكستر؟».

لوحت ڤيڤيان بيدها بمرح:

ـ لم أستطع حضور العرس، فقد اتفقنا على الحملة قبل ذلك. في الواقع تعقدت الأمور قليلاً. لأن أسرته حاكت مؤامرة ضده، ودعت زوجته السابقة، بغرض إصلاح الأمور بينهما. حسناً، رافقته لأخدع مجموعة من النساء، فوجدت هناك زوجته السابقة التي ما زالت تحبه وهذا أمر مختلف.

فبدت عليه الدهشة، وقال: «لم أكن أعرف ذلك!».

ـ أنه كان متزوجاً؟ أنا أيضاً لم أكن أعرف.

ورفعت حاجبيها بشكل معبّر وهي تضيف: «لقد سقطت في نهر هاوكسبري عندما علمت بالأمر... وهكذا...» وأخذت تضحك بصوت خافت: «حصل بعض الالتباس. لكنني نلت ما أبتغيه، يا ستان. أتظن حقاً أنها جيدة؟».

وأشارت إلى الأوراق الملقاة على مكتبه.

ـ إنها رائعة. أعجبني جداً الطراز اللاتيني الذي استعملته. أعلم أنه عصير استرالي، لكن الطابع العالمي سيمنحه ثقة، لا سيما وأنه سينزل إلى سوق التصدير. كما سيسوق في الوطن. هل، هل جعلت هذه الصورة مثالاً لشخص ما؟

نظرت ڤيڤيان إلى الصورة المبهمة التي تشبه رالف وتساءلت عما إذا كان لدى ستان غودمان فكرة عن العذاب الذي عانته حين استعملت هذا الشكل. لكن تلك الفكرة راودتها منذ بدأت تحضّر لإعلان العصير، وكان من المستحيل زعزعتها تقريباً. وفي النهاية أقنعت نفسها بأنه لن يكون من التفاهة بحيث يعترض عليها، إذ لم تصل إلى شيء آخر.

لكنها تصورت أنه قد يعتبر فكرتها تحدياً له. مما أضاف إلى اضطرابها الداخلي وجعلها تفقد شهيتها بشكل شبه منتظم.

قالت لستان بضيق:

ـ لقد رسمت هذه، أيضاً، فقط في حال... حسناً، كبديل.

تفرّس ستان في ما قدمته له، ثم قال بشكل قاطع:

ـ لا، أظن أن رسوماتك الأولى هي الأفضل، يا ڤيڤي ونحن سنعتمدها. لا بأس، سنراجع هذه ثم نرسلها لأخذ الموافقة عليها، وأظنك بحاجة إلى الراحة، يا عزيزتي.

فقالت ضاحكة:

ـ هناك عطلة أسبوعية طويلة قادمة، يا ستان. وقد آخذ يوماً إضافياً لأذهب إلى... صيد السمك. وبالمناسبة، يسعدني أن أراك بصحة جيدة.

ـ ڤيڤي... عليّ أن أشكرك على كل ما فعلته، وذلك من أعماق قلبي.

* * *

كلماته هذه جعلت عملها ذا قيمة. وعندما أخذت الوكالة كلها تنتظر ممسكة أنفاسها، موافقة شركة كلوفر على اقتراحات الوكالة بشأن إعلانات العصير، قدّرت ڤيڤيان ما أقدمت عليه.

لكن وحتى صباح يوم الجمعة لم يرد أي جواب. ومجدداً، لم تستطع أن تتناول إفطارها.

كان عليها أن تكف عن هذا التصرف. هذا ما فكرت فيه ڤيڤيان وهي تغسل وجهها. وأراحت جبهتها على المرآة في الحمام الملحق بالمكتب، ستبلغ السادسة والعشرين من عمرها بعد يومين، لهذا عليها أن تتعلم كيف تضبط أعصابها.

نشفت يديها ثم وقفت حين سمعت رنين تليفون المكتب. لا بد أن سكرتيرتها، الجديدة والصغيرة السن، قد هرعت لترفع السماعة، لأن ڤيڤيان سمعتها تقول:

ـ أنا آسفة، ولكن الآنسة فلوري غير موجودة حالياً. فهي ليست بصحة جيدة، هل أطلب منها أن تتصل بك؟

اندفعت ڤيڤيان إلى المكتب. لكن ليندا كانت قد أقفلت السماعة، فبادرتها

قائلة .

ـ ليندا، إنك تجعلين الناس يظنون أنني مريضة . . إنني بألف خير، وكل ما عليك أن تفعليه هو أن تناديني . من كان المتكلم؟

ـ إنها امرأة، لكنها لم تذكر اسمها . قالت فقط إنها ستعاود الاتصال بك . هل أنت واثقة من أنك بخير؟ لا يبدو عليك ذلك . منذ أيام وأنت مريضة . لم لا تستشيرين طبيباً؟

ـ سأ . . . سأفعل، لكن لا تنشري هذا الخبر في كل أنحاء العالم .

قالت ڤيڤيان نادمة عندما رأت الفتاة تطرق بكآبة : «آسفة، لكن ما من شيء هام يستدعي القلق» .

ـ إن كان هذا رأيك .

ـ نعم . لا بأس، فلنبدأ العمل، لدي بعض الرسائل التي عليّ أن أكتبها .

* * *

حلت الساعة الخامسة والنصف، ولم يرد أيّ خبر من شركة كلوڤر . وهكذا غادرت ڤيڤيان إلى بيتها، وهي مقتنعة بأن الوكالة خسرت الإتفاقية بسببها وبسبب رسمها المشابه لرالف .

كان مساءً حاراً رطباً، فاستحمت وارتدت قميصها الأسود المطرز، ثم حضّرت لنفسها الطعام . فأعدّت لحوماً باردة وسلطة، لكنها فقدت شهيتها ولم تلمسها . كما لم تعدّ خطة لقضاء عطلة أسبوعية طويلة . وأدركت أنها لن ترتاح، حتى ينتهي هذا العذاب . . . عذاب ترقب جواب شركة كلوڤر .

ثم رن الأنترفون في مدخل البناية . وعندما ضغطت على الزر لتجيب جاءها صوت ليتون، فقالت وهي تشهق : «أنت! ما الذي . . .» .

فقال آمراً : « دعيني أدخل يا ڤيڤيان» .

ـ ولكن . . .

فقال مهدداً : «لن أرحل، فإذا أردتني أن أثور غضباً، أو إن كنت جبانة وتخافين مواجهتي . . .» .

ـ أنا لست كذلك .

ـ إذن، دعيني أدخل يا ڤيڤيان .

ضغطت على الزر وهي تصرف بأسنانها . ثم ألقت نظرة على مظهرها، فهرعت إلى غرفة نومها كي تخلع قميصها المطرز وتلبس بدلاً منه سروالاً قصيراً أبيض اللون وبلوزة صفراء . كانت تزرر قميصها عندما رن جرس الباب، وهي لا تزال حافية . لكن وقبل أن تجد حذاء تلبسه، عاد الجرس يرن ويرن دون توقف .

لهذا تخلت عن البحث عن الحذاء، وركضت حافية القدمين لتفتح الباب، قائلة بحدة :

ـ من تظن نفسك، يا ليتون ديكستر؟

أخذت نظراته تأملها، لتستقر أخيراً على قدميها الحافيتين . كان يرتدي بذلة رسمية هي نفسها التي لبسها حين كانا معاً في «بريسبين» . كما ارتدى القميص الأزرق وربطة العنق الكحلية وحمل في يده حقيبة أوراق، وبدا مثالاً لملوك المال النافذين .

قال : «التاريخ يعيد نفسه، يا ڤيڤيان . أراك دون حذاء، أرجو ألا أكون قد جعلتك تنهضين من الفراش . . . أو عطلتك عن شيء ما؟»

ثم رفع نظراته إلى قميصها . فنظرت بدورها وشتمت نفسها حين رأت أنها زررت قميصها بشكل خاطىء . قالت :

ـ لا، ولكن . . .

تشابكت نظراتهما، فأجفلت وهي ترى الغضب العارم والسخرية البالغة في عينيه . وقاطعها قائلاً :

ـ أما بالنسبة لمن أكون .

حاولت أن تتكلم، لكنه لم يدعها تفعل، بل قاطعها مجدداً، ليقول :

ـ ألا يمكن أن تتعقلي؟ فأنت تبدين مريضة .

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ أنت صخرتي!

فتحت ڤيڤيان فمها ذاهلة. واجتاز العتبة وأغلق الباب، ثم ألقى بحقيبته على الأرض.

تراجعت خطوتين ثم تعثرت، فمد يده وأمسك بمعصمها ليمنعها من السقوط.

فهمست:

ـ من.. من أخبرك بأنني مريضة؟.

ـ سكرتيرتك. هذا ما قالته للسيدة هاربر عندما حاولت أن تتصل بك من طرفي هذا الصباح، ولكن يكفي أن أنظر إليك لأدرك أنك مريضة.

فتحت ڤيڤيان فمها، لكنها لم تستطع النطق. ومنعها الذهول من المقاومة عندما جرها بيدها إلى غرفة الجلوس وطلب منها أن تجلس. غاصت في الأريكة الصفراء وأخذت تحملق فيه، غير مصدقة، وهو يخلع سترته ويفك ربطة عنقه. ثم يمد يده إلى جيبه ليخرج بعض الأوراق ثم قال متجهم الوجه:

ـ إذن، قررت الاستمرار بعلاقتك مع رالف.

وألقى بالأوراق على الطاولة أمامها.

نظرت إلى رسوماتها، ثم أجفلت وقالت بصوت أجش:

ـ ليتون، لقد رضيت أنت عن هذه الفكرة، حتى قبل أن أعلم أن رالف موجود في هذا العالم.

ـ وأنت أكدت لي، يا ڤيڤيان، أنك لن تمسّي اتفاقية كلوڤر لأنك لن تبيعي نفسك.. ثم هذه..

وأشار إلى الأوراق.

فصرخت: «أنت الذي أجبرني على قبولها. أعني أنك، في الواقع، أعطيتها لغودمان دون أن تخبرني».

فقال معنفاً: «كان يمكنك أن تتراجعي.. تحنثي بوعدك وتخبري رئيسك بما حدث. وكيف تشعرين بأن هذه الإتفاقية تتعارض مع أخلاقك».

ـ لا، انني...

سكتت وحاولت أن تتمالك نفسها، لكن اضطرابها لم يهدأ بسبب هذه الصدمات الكثيرة. فأغمضت عينيها قائلة: «وأي فرق يمكن أن يحدثه هذا؟».

ـ سأخبرك يا ڤيڤيان.

وجلس أمامها ثم أضاف: «لو كنت زوجتي، لفضلت أن تحتفظي بمستواك الأخلاقي الرفيع. وألا تحاولي أن تتباهي، وتستمري في المباهاة برالف أمامي».

شحب وجهها وراح رأسها يدور، وأخذ العالم يختفي من أمامها.

لم يغم عليها، لأن تصرفه الفوري أنقذها من ذلك. فقد هب واقفاً وجلس بجانبها، ثم دفع رأسها برفق إلى الأسفل بين ركبتيها، إلى أن أخذت تحتج بضعف وصوت متلعثم بأنها أصبحت بخير.

فقال بجمود: «حسناً». ثم ساعدها على الجلوس وأضاف: «هل تريدين شرب شيء من القهوة؟».

ـ نعم، ولكن هناك زجاجة مياه معدنية بنكهة المانغا في الثلاجة، ستكون.. أفضل...

توجه إلى المطبخ وأحضر الشراب في كأس. وعند عودته لاحظ طبق اللحم البارد والسلطة فحمله معه أيضاً. ثم سألها:

ـ منذ متى وأنت مريضة؟ ألم تذهبي إلى الطبيب بعد؟.

ـ لم أذهب إلى الطبيب ولكنني بخير.. المشكلة بكل بساطة أنني أعاني من بعض الضغط.

فقال وهو يعود للجلوس بجانبها: «إذن فأنت لا تعترفين بأنك مريضة؟».

ثم بادرته بلهجة لاذعة لتغير مجرى الحديث:

ـ هذا. . .

وسكتت ثم غيرت لهجتها: هل أنت. . هل أمك. . . ؟.

ولم تستطع أن تتابع.

ـ أطلعتني على ما أخبرتها به؟ نعم، لقد فعلت. وصعُب عليّ تصديق ذلك نوعاً ما، خصوصاً عندما لم ترفضوا اتفاقيات كلوفر.

فقالت ڤيڤيان بعد صمت طويل مزعج: «وماذا عن رالف؟».

ـ أعطاني رالف تفسيراً يتفق مع ما قلته أنت لأمي. لكنه كان يشعر بالخجل والذنب حيال ما حصل، لا سيما حين طرق بابك في الساعة الواحدة والنصف صباحاً. فقد جاء ليخبرك، وعلى حد قوله، بأنه لم يستطع العثور عليّ ولهذا يبدو أن الخطة فشلت. هل كنت تصدقين ذلك، لو كنت مكاني، يا ڤيڤيان؟

فأجابت باكتئاب: «نعم، حسناً، وربما كانت تلك حجة لشيء آخر، ولكن. . .».

سألها وهو يتأملها بسخرية: «شيء آخر؟».

فأجابت بكل حزم: «لم يكن ذلك بتوصية أو برغبة مني. وما كنت لأرضى بذلك ولا يهمني سواء صدقتني أم لم تصدقني، يا ليتون».

فلوى شفتيه، وقال: «ما أغرب ما يمكن أن يفعله كأس مياه معدنية وقطعة جبنة».

فأجابته بحدة:

ـ لقد بدأت لتوّي أتغلب على الصدمة التي تلقيتها منك.

ثم تناولت قطعة من اللحم وورقة خس وقالت: «لا بأس، دعنا نبدأ بالأهم. سأخبرك لماذا لم يكن أمامي أيّ خيار سوى قبول اتفاقية كلوفر، خصوصاً بعد أن أعلمت أنت مؤسسة غودمان بموافقتك».

ـ فهمت.

رد عليها باقتضاب دون أن يعكس وجهه أي انفعال أو تعبير.

ـ وهكذا لعلك تظن أنك اشتريتني، ولكن هذا لا يهمني. كان ستان بمثابة أب لي. كما أنني لم أكن أحاول أن أتباهى برالف أمامك. . . لكنني ما كنت لأتقدم للوكالة عملاً كهذا طوال حياتي.

وأشارت إلى الرسومات الملقاة على الطاولة، ثم أضافت: «ولا حتى بنصف جودته. لقد سبق وقدّمت أعمالاً أخرى لكن ستان رفضها، أما هذه فقد فازت بالقبول». وبان العجز في صوتها:

ـ حسناً، أعتقد أنك وجيني لن تنسيا بعضكما البعض أبداً. ولكن هذا غير مهم ولا صلة له بموضوعنا.

وسكتت فجأة، معنفة نفسها لقولها هذا. فهو أشبه باعتراف بأنها تظنه لا يحبها. . . مما ينبغي ألا يشكّل أي فرق.

فقال: «وهو كذلك فعلاً». فنظرت إليه وطرفت بعينيها.

فعاد يقول: «غير مهم ولا صلة له بموضوعنا. ولكن تابعي يا ڤيڤيان».

فصرفت بأسنانها: « لا، إنك تظنني مجنونة، يا ليتون. أنت تهزأ بي وتحتقرني. . تعتقد أنه بإمكانك أن تشتريني. لقد شككت بي بسبب تصميم وضعته يشبه أخاك، ولن أذكر تلك الخطط الرخيصة التي وضعتها، كما أكره التفكير فيها».

فقال برزانة: «كان ذلك نوعاً من ردات الفعل الفورية».

ـ كما أنني أرفض التفكير في ما يمكنك أن تبتدعه من إهانات إذا قصدت.

وارتجفت بشكل واضح، ثم أكملت قائلة: «لكنك أخبرتني بنفسك أنه ليس لديك الوقت لأي شخص، لا سيما أنا».

ـ ومن قال لك إنه ليس لدي وقت لك؟

لم ترد أن تدخل غمار هذا السؤال وما قد يتبعه لذا حاولت أن تغير الموضوع فسألته: «هل لا زلت تحب جيني؟».

ـ يبدو أننا نعود دائماً إلى إثارة هذا الموضوع، ولكن. . .

لكن ڤيڤيان وقفت وقد عادت ترتجف، وشحب وجهها: «ليتون، لقد استمر هذا طويلاً. أنا لست مريضة».

www.elromancia.com

- إنك لم . . .

ولم ينه كلامه، لكنها لم تره من قبل بمثل هذه الصرامة والبرودة. وبدا وكأنه كشف لها عن رأيه فيها.

- لا! أنا لست مريضة!

- ولكن، كيف يمكنك أن تكوني متأكدة إلى هذا الحد؟

عادت فجلست وهي تفرك وجنتها غير مصدقة: «هل عليّ أن أعطيك درساً في علم الأحياء؟».

فسألها بخشونة: «ولكن لماذا تبدين بهذا المظهر؟».

- تعرضت لكثير من التوتر والضغط أثناء فترة مرض ستان.

ونظرت إليه فقرأت في عينيه عدم التصديق، فأغمضت عينيها للحظة وقالت: «لقد أخبرتك مرة . . . المرتفعات، الطيران، ضغط العمل، المصاعد . . . هذا كل ما في الأمر».

أمعن النظر فيها فرأى أن وجهها ما يزال شاحباً فقال: «اسمعي . . لا تبدين لي بخير أبداً. سأحضر فنجانين من الشاي . . .».

غاب قليلاً ثم عاد يحمل فنجانين قدم أحدهما لها.

شربت رشفة ثم تنفست بعمق.

- أظنني أثرت الشكوك، كما حدث أثناء الإتصال الهاتفي. وقد قلت لسكرتيرتي إنها ستنتشر، بهذه الطريقة، إشاعة بأنني مريضة، لكن لم يخطر على بالي لحظة . . . حسناً، لم أكن أعلم أنك أنت من اتصل، على أي حال. لماذا . . . لماذا اتصلت بي؟

فقال وهو يتناول الأوراق فجأة ويكوّرها في يده: «لأتحدث معك في هذا الموضوع».

أخذت تنظر إليه بحذر وقد فغرت فمها.

- ولكن . . .

وسكت ثم نظر إليها: «إذا حمّلت الأمور أكثر مما ينبغي . . . بمساعدة السيدة هاربر، فلأني ظننت أني حصلت على فرصة أخرى».

بدا الأسى في صوته وهو يلفظ كلماته هذه، فنظرت إليه بحيرة: «بشأن ماذا؟ لا أفهم».

- فرصة أخرى معك، يا ڤيڤيان.

فشهقت وردت: «ولكن . . . لكن لديك الكثير ضدي، وقد أدركت ذلك لتوّي. يكفي أني كارثة متنقلة، يا ليتون. لا أستطيع تصديق ذلك».

فجلس بجانبها، وقال ساخراً:

- ولا أنا.

ثم هز كتفيه، وأكمل: «لقد تركتك ورحلت. وحدثت نفسي عن كل عيوبك . . . لم أشأ أن أستمع إلى أمي، أو إلى رالف. وأقنعت نفسي بأن كل شيء انتهى . . .» وسكت وهو يتنهد ثم أضاف: «ولكن عندما رأيت هذه» وأشار إلى الرسوم التي صممتها: «أدركت أن ذلك غير صحيح. لم أصدق كم أغضبتني هذه الرسوم. ثم، اعتقدت أنك مريضة، فزاد قلقي وغضبي، ولكن ليس لهذا السبب».

فهمست حابسة أنفاسها: «لماذا؟».

التفت ينظر إليها أخيراً. واستطاعت للمرة الأولى أن ترى نوعاً من العذاب في عينيه:

- لأني أقنعت نفسي بأنك لا تهتمين برأيي. فأنت لم تحاولي أن تشرحي لي الأمور. لقد قلت لي إنك كذبت على أمي . . وبعد ذلك رحلت، ثم استلمت اتفاقيات كلوفر.

تملكها شعور بالحنان جعل دمها يجري في عروقها من جديد وكأنها لم تكن حية من قبل. وجلست صامتة مذهولة بينما تابع هو: «ومنذ دقائق قليلة، أرجعت سبب شحوبك وهزالك البادين عليك وغير ذلك، إلى ضغط العمل وحسب. وكأنك تقولين أن فراقك عني لا يؤثر فيك أبداً».

إبتلعت ريقها: «لقد كذبت فعلاً على أمك. فقد سألتني إن كنت أحبك، فأجبتها بالنفي. ولكنها الكذبة الوحيدة التي قلتها لها».

- ڤيڤيان . . .

- لا، يا ليتون.

وضعت يدها على يده وأضافت: «دعني أنهي حديثي، هناك مشاكل كثيرة بيننا. . . فأنت قلت إنك لست لي. . . إنني. . . لم أجد تفسيراً لهذا سوى جيني، وأنا ما زلت غير واثقة. . . ».

فقاطعها قائلاً: «جيني خرجت من حياتي مرة وإلى الأبد. وقد حدث هذا قبل أن أكتشف أنني أحببتك».

- لكنك قلت إن زواجكما كان ليستمر. . .

- أعلم هذا. ولكن من أجل الطفل فقط. لأمنح ذلك الطفل أباً شرعياً، لأنني أعتقد أن الأولاد يستحقون ذلك وأن عليهم أن يولدوا في إطار الزوجية، حتى وإن لم يدم الزواج. ولكن أي أمل لها بإعادة إشعال الحب بيننا حكمت عليه هي بالموت حين استغلت رالف. لأنها أظهرت بذلك وجهها الحقيقي مرة أخرى. لهذا لم أهتم للأمر مثقال ذرة.

فقطبت ڤيڤيان جبينها، وتابع بجهد: «لكن حين ظننت أنك تلهين مع رالف، كدت أقتلكما معاً».

- ولكن في الليلة التي سبقت ذهابنا إلى بالم بينش، ظننت أنك. . . لاحظت أنك متكدر وظننت أن السبب هو رالف وجيني. لهذا السبب أردت الابتعاد عن المنزل.

- هذا صحيح، ولكني شعرت بالاشمئزاز منهما، وهذا كل شيء.

أخذت تفكر لدقائق ثم قالت بشيء من العجز: «ما زلت لا أفهم لما أصررت عليّ لأحضر الحفلة الراقصة».

- في بالم بينش، لم يثر مشاعري بهذا القدر سوى أنت. شعرت وكأنني هوجمت على جميع الجبهات.

وبدا في عينيه أول أثر للمرح منذ مجيئه وأضاف: «قررت، بعد تصريحك المؤلم، ألاّ يستمر التعاون بيننا. . . وإذا بي أجد نفسي أعانقك».

ورفع حاجبيه مستفهماً ثم أكمل: «لكن الضربة القاضية جاءت عندما بدا أنك قادرة على تجاهل هذه المشاعر وهذا الانجذاب الذي يشدّ أحدنا إلى

الآخر. . . ورغم أنني أنا من ابتعد عنك، وجدت نفسي فجأة عاجزاً عن فراقك، ولم أستطع أن أدعك ترحلين».

فتحت فمها غير مصدقة، بينما تابع يقول: «وهكذا لم يكن للأمر علاقة بكلوفر أو بجيني. . . أنا وأنت فقط، يا ڤيڤيان».

وضعت يديها على خديها وهي تشعر بالدم يجري فيهما، ثم قالت بتعاسة: «وأنّى لي أن أعرف كل هذا؟ لو علمت، لما تفوّهت قط بتلك الأشياء التي قلتها. . . أوّاه».

- أعلم هذا. إن الذنب ذنبي أنا، لكن الحقيقة هي أنني أصبحت عاجزاً عن التفكير بشكل سوي منذ دخلت مكتبي حافية القدمين. وكان كلامك صحيحاً. كنت مثقلاً بإرث من المرارة وعدم الثقة بالنساء، لهذا لم أكن أسمح لأي امرأة بالاقتراب مني أكثر مما يجب. وأظن أن طريقتي في عرض تلك الاتفاقية عليك، لم تكن سوى للتعبير عن استخفافي بالنساء بشكل عام.

فسألته بحيرة: «وكيف استطعت أنا أن أغيّر كل هذا؟ لقد قدمت إلى هنا وأنت تحمل في قلبك كرهك لي. . ولكل ما يتعلق بي».

- لقد دخلت إلى بيتك، كارهاً حقيقة أنني وقعت في غرامك، ولم تظهري أنت أيّ ذرة اهتمام بي.

لم تستطع أن تتكلم، وإنما أخذت تحدق فيه بعينين تدفقت منهما مشاعرها الجامحة كلها. ثم وقفت وسارت نحو الباب الزجاجي.

كانت الشمس قد غابت، واصطبغت السماء بلون وردي متألق. فيما كانت تحدق في هذا المشهد الرائع، لم تسمعه يلحق بها لكنها شعرت، غريزياً، أنه يقف خلفها مباشرة.

التفتت قليلاً وقالت بشيء من اليأس:

- أنا فعلت ذلك، ولكن. . .

وسكتت تغالب دموعها ثم أضافت: «فكرت حقاً. . . أنه يمكنني إصلاح الأمور بينك وبين جيني أثناء الحفلة. ولكن النتيجة ارتدّت عليّ. ثم عندما تركتني بتلك الطريقة».

وابتلعت ريقها عندما تحرك بضيق وقالت: «أدركت أنني لن أثق بك مجدداً، يا ليتون. أنا... ما كنت أقبل بذلك من رجل لا أحبه، لكنني أدركت أن الأمر مختلف بالنسبة لك».

ـ ڤيڤيان...

فقالت بهدوء بالغ:

ـ لا، لم تكن تثق بي حينذاك. عندما كشفت لك عن مكنونات نفسي... آسفة، لكنني عاجزة عن تكرار ذلك. لا بأس... إنني محطمة الآن بسبب ما جرى، لكنني سأتغلب على ذلك مع مرور الزمن. كما أنني لن أستطيع خوض هذه التجربة مرة أخرى.

سألها بعد صمت طويل: «هل تظنين حقاً بأن عليك ذلك؟»

فنظرت إلى البعيد وسمعته يقول: «أنا لا أحاول أن أقلّل من شأن ما فعلت، ولكن إذا نظرت إلى الأمور من زاوية أخرى لرأيت قصة مختلفة، يا ڤيڤيان».

ـ لا، بل أعني...

ـ ڤيڤيان.

لم يحاول أن يلمسها، لكنها رأته يجاهد ليمنع نفسه من ذلك. رأت شرياناً ينبض عند فكه ومشاعر عنيفة في عينيه لم تر مثيلاً لها من قبل. بدا وكأنه يركز على أمر حيوي، هو مسألة حياة أو موت: «أتظنين أني كنت لأقصد بيتك لو أنني ما زلت الرجل نفسه الذي اجتمعت به أول مرة؟ لو أنني ما زلت ذلك المتحرر من أوهام الحياة والباحث عن نوع من التحدي العاجز أو، بصراحة أكثر، عن علاقة رخيصة؟».

سكت قليلاً، وهو يتأمل خصلات شعرها الثائرة وجسدها الرشيق في قميصها الذي ما زال مزرراً بشكل خاطىء، وسروالها القصير الأبيض. ثم نظر إلى وجهها الشاحب، وقدميها الحافيتين، وتابع يقول:

ـ أتظنين أنني كنت اهتميت لأمرك بأي شكل؟... هل تظنين حقاً أني كنت سأدع رالف يؤلمني بسبب فتاة لا تعني لي شيئاً؟ وهل كنت أطلب منك

الزواج رغم أننا لم نعرف بعضنا إلا منذ شهر وقد أمضينا ثلاثة أسابيع منه في خصام، إن لم أكن جاداً تماماً؟

فقالت بعجز: «حسناً، هذا شيء آخر. في الواقع، لم نعرف بعضنا سوى لأيام قليلة فقط».

فقال بصوت خافت: «ومع ذلك، بعد تلك الأيام القلائل، أدركت أنني لن أكون الرجل نفسه مرة أخرى. أدركت أنني لن أرتاح أبداً إن لم أكن حاضراً... حاضراً من أجلك. لتتغلبي على خوفك من المصاعد، والعلو، والطائرات والدوار».

وأغمض عينيه فجأة: «وكي لا يحصل رجل آخر على الحيوية والفرح والسعادة التي تتفجر من ڤيڤيان فلوري».

ثم فتح عينيه وقال: «لا أستطيع أن أحتمل فكرة وجود رجل آخر في حياتك، يا ڤيڤيان. ولا أستطيع أن أتصور بقية حياتي من دونك، إلا إذا كانت جهنم بعينها».

فهمست: «ليتون».

ثم هزت رأسها وكأنها تجلو ذهنها: «لا تنسى المشاكل الكثيرة التي أقع فيها»...

ـ ولما تظنينني أحبك إلى هذا الحد إذن؟

فتلعثمت غير مصدقة: «هل... هل لهذا الأمر أيضاً؟»

ـ لهذا الأمر أيضاً. أريد أن أعيش إلى جانبك، يا ڤيڤيان، أريد أن أحبك، وأضحك معك، وأحميك، وأن يصبح لدي أطفال منك.

فبللت شفتيها، وسألته: «وماذا عن مصنع الطائرات؟».

ـ فليذهب إلى الجحيم. كان ذلك عذراً فقط، على أي حال.

فحملقت فيه: «أتعني أنه ليس لديك مصنع؟».

ـ لا، سأبني واحداً يوماً ما. لكنه عمل آخر وحسب، بينما أنت، يا ڤيڤيان، ستكونين حياتي وبهجتي.

فسألته: «إذن لن تشك بي ولن تخاصمني؟».

www.elromancia.com

فابتسم لها، وبدت الرقة جلية في عينيه، مما جعلها تشعر بأنه سيغمى عليها مجدداً.

ـ لا أستطيع أن أعد بذلك، وأنا متأكد من أن هذا الشعور سيتملكك أنت أيضاً، في بعض الأحيان. ما دمنا نعلم أننا روح واحدة في جسدين...

وأمسك بها ينظر في عينيها بعمق.

واستسلمت ڤيڤيان لعناقه بصمت، مستكينة بين ذراعيه وكأنهما ملاذها.

ـ هذا حسن.. هذا حسن جداً.

علّق بهذه الكلمات برقة بالغة وهو يضمها إليه، بينما أخذت ترتجف كورقة في مهب الريح. ثم أضاف: «ثقي بي».

لم تعرف ڤيڤيان من قبل مثل هذا الشعور الذي تملكها. ولم تفاجئها قوته وحسب بل هذا الإحساس بالأمان الذي شعرت به بين ذراعيه. ها هي أخيراً تكتشف جوانب شخصية هذا الرجل. رجل أحبها وأحب مخاوفها كلها. كانت كمن وصل أخيراً إلى برّ الأمان، فهدأت تدريجياً، ثم رفعت رأسها إليه.

ـ إنه شيء غريب. لكني، أحياناً، أشعر بثقة بك لم أشعر بمثلها حيال أحد آخر قط.

فكرر كلامها ببطء:

ـ إنه شيء غريب. لكنني لم أعرف ما كنت أبحث عنه حتى دخلت أنت حياتي، ببراءتك وعدم زيفك.. لا يمكنني صياغة صفاتك الأخرى في كلمات، ولكن قد أتمكن من أن أظهر لك مدى حبي.

واجتاحتها موجة من الأحاسيس عندما ضمها إليه أكثر.

فقالت تجيبه: «وأظنني قد أتمكن من أن أبرهن لك... عمق شعوري نحوك».

***

قالت ڤيڤيان والنعاس يتملكها: «لم تخبرني بعد».

ثم سكتت.

ـ ما الذي لم أخبرك به؟.

ووضع ذراعه حول كتفيها، وهما جالسان على الأريكة.

ابتسمت له، ثم أراحت رأسها على مرفقها ونظرت إليه بمكر: «أشعر وكأنني في الفردوس معك»... فقاطعها: «يسرني ذلك». وضمها إليه، ليظهر لها شوقاً وحنيناً عميقين.

ـ تابعي كلامك، يا ڤيڤيان.

وأخذ يمرر أصابعه على وجهها الناعم.

فقالت بجهد: «نعم، لم تخبرني بعد ماذا كنت تعني حين تحدثت عن الفتيات والخوخ والأشجار».

ـ لا شيء.

فقالت عابسة: «لا شيء؟»

ـ حسناً...

رفع رأسها نحوه، وتطاير من عينيه شرر ماكر، ثم قال: «كانت هذه الجملة حكمة اليوم على الروزنامة في المكتب. وخطر في بالي أنها قد تحدث لديك ردة فعل».

فشهقت: «ليتون ديكستر.. هذا»...

قال بوقار خطير:

ـ مهما يكن ما ستقولينه، أوافقك عليه. جهنميّ، تعصبيّ، لكنني سأخبرك شيئاً يا ڤيڤيان. حصل ذلك حين خطر في بالي أن جوليانا جونز قد تكون رائعة الجمال، لكنها لا يمكن أن تقارن بك. وأعلم الآن أنه ما من امرأة يمكنها ذلك، بالنسبة لي.

ارتجفت ڤيڤيان، وتنهدت، ثم أحاطت وجهه بيديها: «أحبك، يا ليتون».

ـ وأنا أحبك، يا ڤيڤيان.

***

ـ كيف تريدين أن يكون عرسك؟

كانا في غرفة الجلوس ويجلسان على الأريكة.

تحركت ڤيڤيان ورفعت وجهها نحوه: «آه، نسيت أن أسألك كيف انتهى

www.elromancia.com

الأمر».

فنظر في عينيها وقال:

ـ انتهى كل شيء بشكل حسن، سلّمت ماغ في الكنيسة إلى الرجل الذي تحب. وكل الصدمات والمشاكل التي سبقت ذلك ذابت وانتهت لأنهما كانا في غاية السعادة.

ـ أنا سعيدة جداً لهذا. وإلا ما كنت سأصفح عن نفسي.

فأخذ يعبث بشعرها: «على أي حال، أنا أوافقك الرأي على انتقادك المبدئي لنظام الزفاف عندنا».

ابتسمت ڤيڤيان دون أن يراها:

ـ أفهم من هذا، يا ليتون، أنك تفكر في أن تنكر عليّ أسبوع الإحتفال بالعرس في الأسرة وكل ما يعنيه ذلك.

فقال بجدية: «لا أدري ما إذا كان الوضع في الأسرة مناسباً، فأمي واللايدي وابن رايت قد تشاجرتا، ورالف رحل إلى المكسيك و...».

فمدت يدها ووضعت أصبعها على فمه تسكته، لتقول:

ـ ماذا عن جزيرة معزولة، يا ليتون؟ لأنني لن أحتمل مشقات أسبوع عرس آخر في «هارفست مون».

ضحك وأحنى رأسه، يتأملها:

ـ ما رأيك بحل وسط؟ احتفال بسيط وغداء. ربما في بالم بيتش، على أن يقتصر ذلك على الأسرة. وبعد ذلك، بحث عن جزيرة نائية.

ـ يبدو ذلك رائعاً، متى؟

ـ في أقرب وقت ممكن. علينا أن نبحث عن خاتم، و...

فاستقامت ڤيڤيان في جلستها وحملقت فيه، فقال بهدوء:

ـ يا حبيبتي، سنختار هذا الخاتم معاً. فأنا أكره أن تشعري أن لك علاقة بفتاة مستأجرة.

ـ آه.. حسناً، أظنك ستبيع الخاتم الآخر. لقد سبق وقلت إنه استثمار جيد.

ـ كان كذلك فعلاً، ولكنه لم يعد كذلك بعد الآن.

قطبت جبينها وهي تتصور الماسة الوردية:

ـ ماذا تعني؟

ـ لقد أصبح في قاع نهر «هاوكسبري».

فشهقت: «ليتون! كيف حدث هذا؟»

ـ لقد ألقيته هناك، من آخر رصيف الميناء.

فنظرت إليه غير مصدقة، وسألته: «ولكن لماذا؟».

ـ لأنه يمثل كل خطأ ارتكبته منذ وقعت عيناي عليك، يا ڤيڤيان.

وألقى برأسه إلى الخلف متأوهاً: «لقد خرجت ذات مساء، مصمماً على بيعه، لكنني وجدت نفسي عند رصيف الميناء، فتذكرت كيف سقطت من هناك، وأوشكت على الغرق».

فنظرت في أعماق عينيه، بينما تابع يقول:

ـ كل ما قمنا به معاً، قلناه لبعضنا البعض، حبنا لبعضنا البعض، مرّ حينذاك أمام عيني. واكتشفت أنني أكره تلك الماسة الوردية كثيراً. لهذا قذفته إلى النهر، لكن ذلك لم يمنحني سوى راحة قصيرة الأمد، لأنني ما كنت أكره سوى نفسي. ثم شعرت بالذنب لإضاعتي كل ذلك المال، فدفعت إلى المؤسسات الخيرية في الصباح التالي مقدار ثمنه.

فقالت برقة: «هناك نوع واحد من الخواتم سيعني لي الكثير. وهو خاتم الزواج. «محبس» بسيط وحسب. ولكنني لن أتمكن من التعبير لك عن مبلغ زهوي للبسه».

ـ حبيبتي...

ـ لا، أنا أعني ذلك، يا ليتون. أنسيت أنني فتاة لا تحب المجوهرات؟ وأظنني سأبقى كذلك دائماً...

وسكتت.

ـ سيبقى شيء من ڤيڤيان فلوري في ڤيڤيان ديكستر دائماً.

ـ آسفة لذلك. هل لديك مانع؟

فأجاب ببساطة: «على العكس، بل يشرفني ذلك».

* * *

وتزوجت بعد أسبوعين، بثوب أبيض شفاف في منزله في بالم بيتش، وفي حفل اقتصر على أفراد الأسرة. وقد حضر الزفاف ستان غودمان وزوجته إيزابيل واللايدي واين رايت التي بدا أنها تصالحت مع إميليا ديكستر.

اختارت ڤيڤيان أزهاراً ناعمة تزين بها شعرها، وثوباً أبيض بسيط الطراز. أما الخاتم الوحيد الذي وضعته في إصبعها فكان محبساً من الذهب. لكن سعادتها وتألقها كانا واضحين، مما حمل والدة ليتون على القول لعرابته، وصديقتها الحميمة:

ـ كدت لا أعرفه. فهو يبدو مختلفاً.

وغالبت دموعها بجهد وهي ترى ابنها ينظر في عيني ڤيڤيان ومشاعر الحب الخالص تبدو في عينيه، وتمتمت مارلين واين رايت: «لطالما اعتبرتها فتاة شجاعة».

وتمتم رالف قائلاً لأخته ماغ: «يا للروعة! كيف تمكنت ڤيڤيان من أن تحقق ذلك؟».

لكن ماغ ضحكت بعجز وهي تتوجه لمعانقة أخيها وعروسه.

* * *

وعندما رحل الجميع، خرج العروسان إلى الشرفة. كانت الشمس تنحدر نحو المغيب، فراحا يتأملانها، وقد لف أحدهما ذراعه حول الآخر.

وقالت ڤيڤيان: «أشكرك على هذا العرس الجميل».

ـ كان ذلك مبعثاً للسرور، وكنت أنت أجمل شيء فيه.

ونظر إليها متأملاً للحظة طويلة: «والآن أعلم أنك تثقين بي حقاً».

ـ حسناً.. هذا صحيح.. ولكن، هل لأنني تزوجتك؟

ثم استدارت تواجهه:

ـ ولهذا أيضاً، ولأنك وقفت معي هنا.

ولامس وجنتها بيده.

اتسعت عيناها، ثم نظرت إلى أسفل لترى البحر يزبد وتتلاطم أمواجه، لكنها لم تخف وقالت غير مصدقة: «لم أفكر قط في المرتفعات».

ثم سكتت قليلاً قبل أن تضيف قائلة: «ليتون، أنت لا تشك في حبي لك أليس كذلك؟».

بعد لحظة تفكير طويلة، أجابها: «أتساءل أحياناً عن السبب، وهذا كل ما في الأمر. أحياناً أتذكر الأشياء التي قلتها وفعلتها، ولا أدري كيف استطعت أن تصفحي عني...».

فتمتمت وهي تلقي بنفسها بين ذراعيه:

ـ هذا سهل. أنت صخرتي، شجرتي، بهجتي. وكل ما حدث بيننا قد أشعل حبي وقوّاه ليجعله ذهباً نقياً.

فقال أخيراً بعد أن أخذ يحدق كل منهما في عيني الآخر:

ـ آه، يا ڤيڤيان. يسعدني رأيك هذا بي كثيراً، لأنني... لم أتصور يوماً أن بإمكاني أن أحب بهذا الشكل.

قالت وهي ترتجف: «ولا أنا».

ثم تشبثت به عندما أخذ يقبلها بحرارة.

* * *